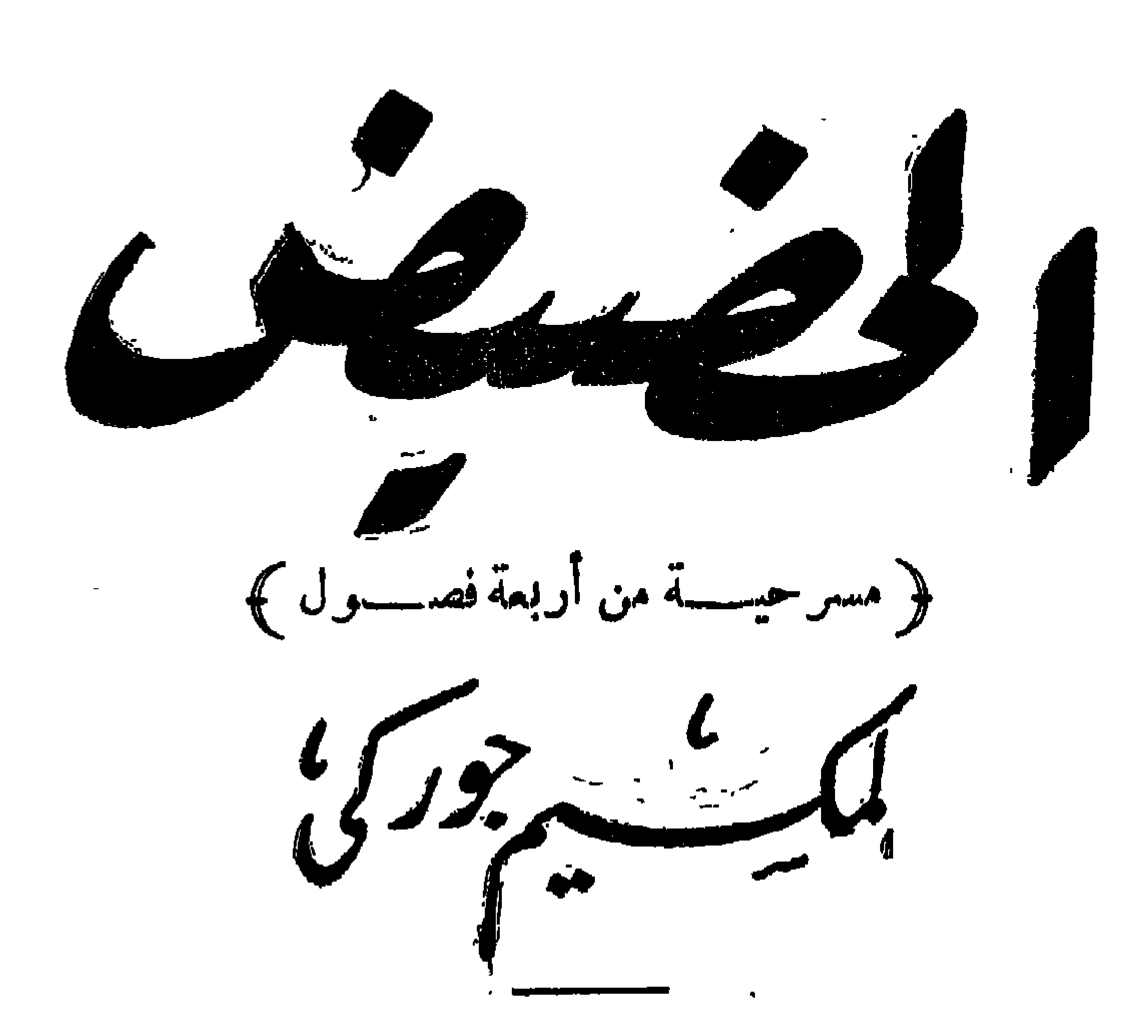

Bibliotheca Alexandrina
0192337

نادي خريجي كليات الآداب بالاسكندرية

يقدم

روائع المسرح العالمي (١)



ترجمة

فؤاد محمود دوارة

راجع الترجمة

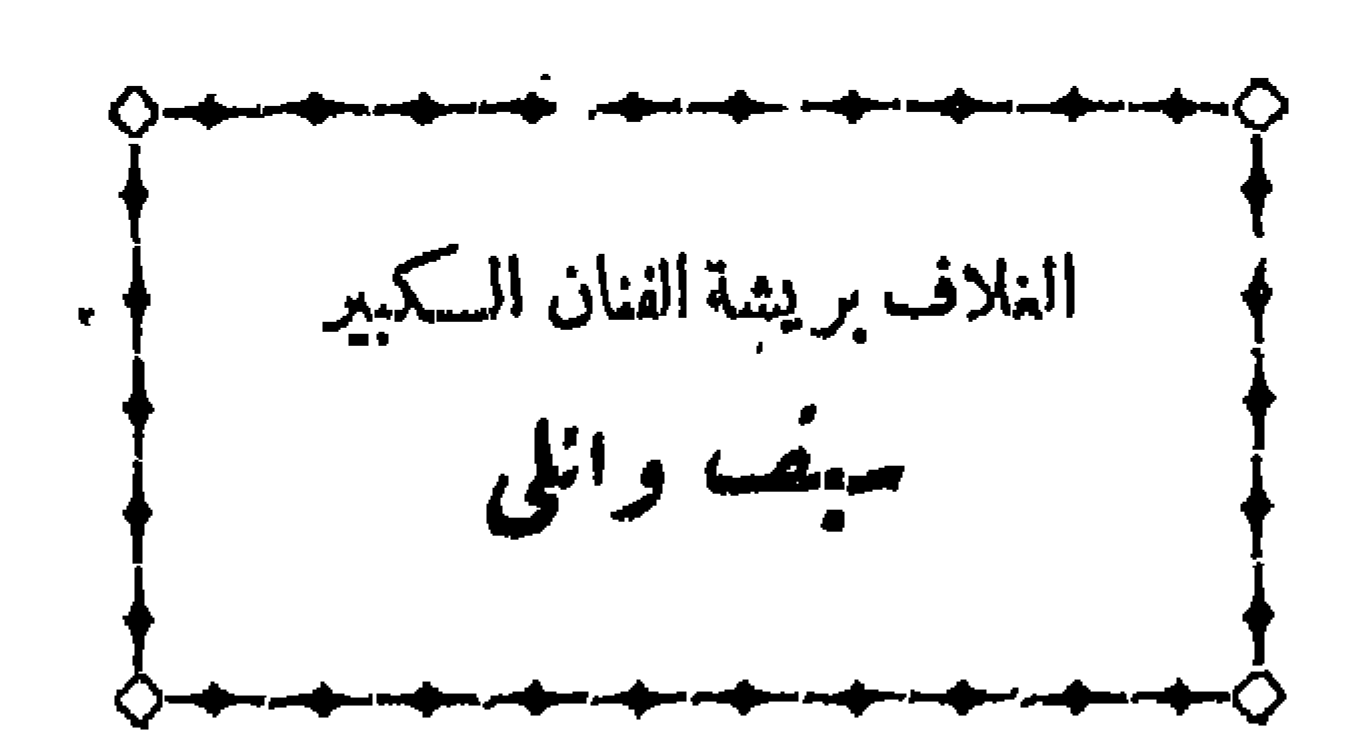
الدكتور محمود السمرة

(المدرس بكلية الآداب — جامعة الاسكندرية)

The Lower Depths

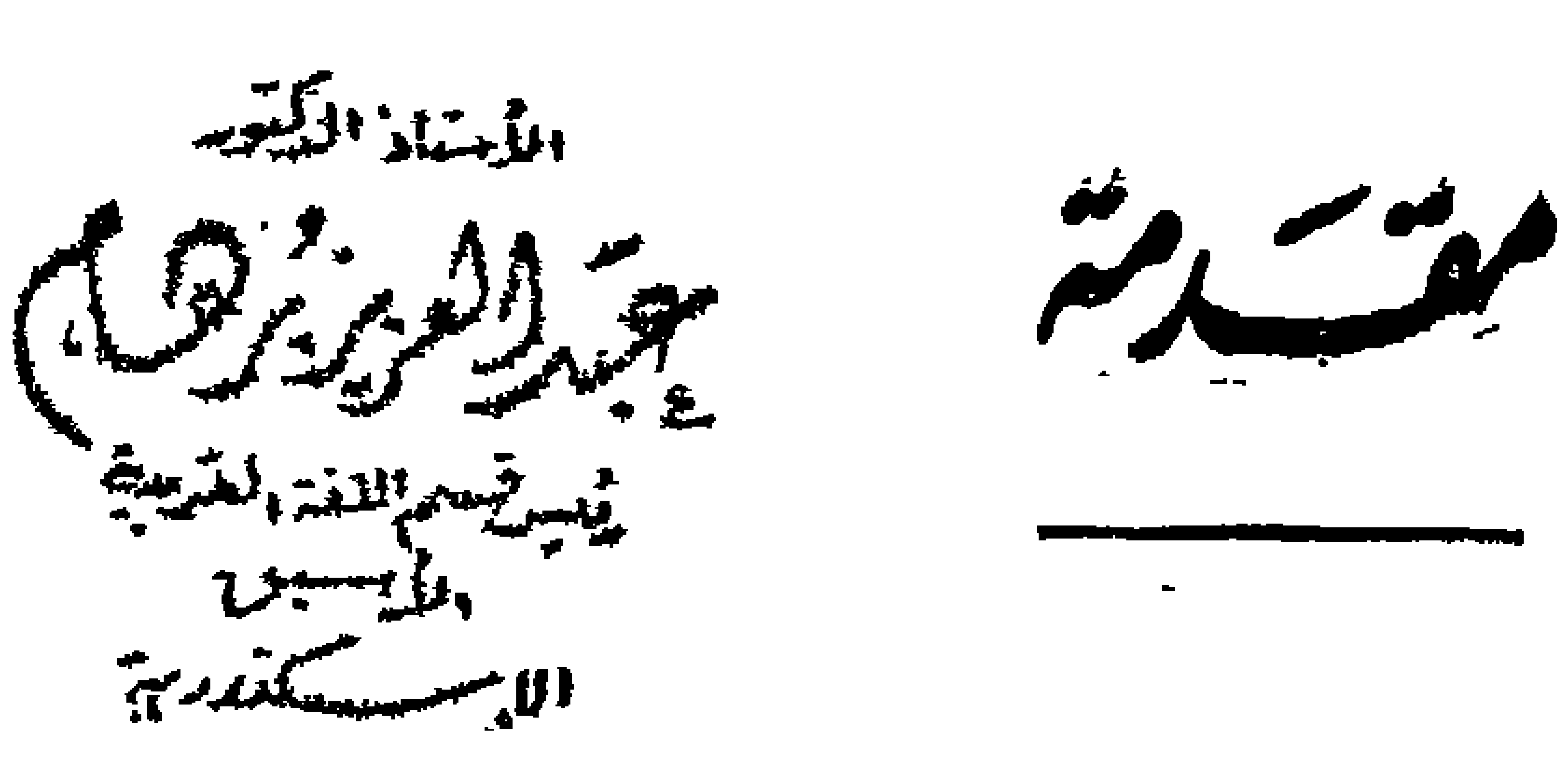
by : *Maxim Gorky*

translated by : Alexander Bakshy



اهـــداء

الى طليعـــة المكافحين فى سبيل خلق مسرح مصـــر الحديث ؟



مقدمة

لا نزال حياتنا الفنية ـ كمعظم جوانب حياتنا الأخرى ـ ميدانا للعبث والفوضى والتخلف .. والمسرح ، هذا الصرح الهائل لتثقيف الشعوب ودفعها إلى حياة أفضل لايزال فى بلادنا يترنح أمـام ضربات السينما ، ويعانى آلاما مبرحة ، لا أحـد يعلم أهى سكرات الموت أم تباشير الولادة .

ولقد أجمع النقاد الفنيون على أن المسرح المصرى فى محنة .. وأقول « النقاد الفنيون » مع بعض التجاوز ، فلم تتكون بعد فى بلادنا طبقة من النقاد المثقفين ثقافة عميقة قادرة على التوجيـــه والخلق دون أن تتأثر بحسابات أقسام الإعلانات فى الصحف ، ولعل هذا نفسه أحد أسباب محنة المسرح والسينما فى مصر .

ولقد اختلفت الآراء فى تفسير أسباب هـذه المحنة ، ولـكن لا جدال عندنا فى صحة ماقرره الدكتور محمد مندور منذ زمن بعيد حين قال :

« .. وأمر السينما والمسرح والراديو والـكثير من المجلات متروك بين أيد أخشى أن لاتستطيع أداء رسالتها، بل لاتعرف أن لها رسالة . وهذا إجرام فى حق الشعب وحق الوطن ، ولهـذا يجب أن يعنى بها النقاد ، فهى وإن تـكن أشياء فانيـة عابرة محدودة الأثر فى تثقيف الشعوب ثقافة حقيقيـة ، إلا أنها واسعة الانتشار شديدة الضرر ، وليس من شك فى أنه من الواجب أن نساهم فى تجميل حيـــاة مواطنينا وحمـايتها والدفاع عنها إلى جانب ما نستطيع أن نكتب لأنفسنا أو للخواص من النـاس ... » .

نعم .. يجب أن نساهم فى تجميل حياة مواطنينا وحمايتها والدفاع عنها !!

ونحن وإن لم نـكن بصدد كتابة بحث عن أسباب تخلف المسرح المصرى ، إلا أنه من

اليسير أن نفطن إلى عامل رئيسى من عوامل هذا التخلف ، ذلك هو افتقارنا إلى المؤلف المسرحي المصرى الذى يعيش حياة مصر وينفعل بها ويجعل هدف حياته التعبير عنها ...

وما أظن أن جيلنا قادر على إنجاب مثل هذا المؤلف ، وإن كانت عليه مهمة خطيرة ؛ هى التمهيد لخلق هذه الطبقة من المؤلفين المسرحيين .. ولن يكون هذا إلا بفتح النوافذ للشعب والمثقفين على ألوان مختلفة من روائع المسرح العالمى عن طريق الترجمة والتمصير .. وها هو ذا نادى خريجى كليات الآداب بالإسكندرية يقدم هذه المسرحية كلبنة صغيرة فى سبيل بناء مسرحنا المصرى وقيامه بدوره فى النهوض بشعبنا وبثقافتنا ، راجيا أن يتبعها بجهود أخرى من حين إلى حين .

مكسيم جوركى :

ترجمت إلى العربية فى الفترة الأخيرة عدة قصص لجوركى ، لم تعطنا بالرغم من تعددها فكرة كاملة عن ذلك الكاتب العملاق . . فسرحياته الرائعة التى تربو على الخمس عشرة مسرحية ، والتى تجعل منه علما من أعلام المسرح العالمى ـ لم يقدم أحد من قبل على تقديمها إلى قراء العربية .

بدأت قصص جوركى القصيرة تنشر حوالى عام ١٨٩٢ فى بدء عهد التحول فى روسيا ، وسرعان ما استرعت انتباه الرأى العـام ، وأصبح مفهوما أن المؤلف الصغير الذى لم يتجاوز الرابعة والعشرين أكثر خبرة بحقائق الحياة فى المجتمع الروسى من معظم محترفى الكتابة فى ذلك الوقت ... فقد نشأ فى بيئة وضيعة قاسية عند جده الذى كان يملك مصنعا صغيرا للأصباغ . وقد اضطر وهو فى سن مبكرة إلى أن يعول نفسه فكان يعمل كثيرا متنقلا من عمل إلى آخر وهو فى حالة شبه جوع دائم .

وكان من الطبيعى أن ينتهى به الأمر إلى أن يصير إسكافيا مثل «أليوشكا» ، أو «مؤلف» مفاتيح مثل «كلستش» اللذين صورهما فيما بعد فى المسرحية التى بين أيدينا.

كان من المحتمل أن ينتهى جوركى إلى هذا المصير لولا ظمأه المستمر الذى لا يعرف الرى إلى المعرفة . وبطريقة ما استطاع أن يحصل على قسط ضئيل من التعليم يسمح له بالعمل كاتبا لدى أحد المحامين ، وكان هذا عملا محترما نسبيا ، ولكنه لم يعطه الشبع الروحى الذى كان ينشده دائما ، فدفعه شغفه بدراسة أحوال المجتمع الذى يعيش فيه إلى القيام بجولة كبيرة طاف خلالها أرجاء روسيا .. فانحدر من مسقط رأسه « نيجنى نوفجورود» فى أعالى نهر الفولجا حتى بلغ جنوب القوقاز، ثم عاد ثانية بعد أن قضى سنتين فى التشرد والتجول مواجها الحياة الحقيقية المجردة من كل آثار الحضارة التقليدية المندثرة، ومعاشرا كل أنواع حثالات المجتمع ونفاياته .

عاد جوركى مرة ثانية إلى المدنية ليعمل مخبرا فى إحدى الصحف الإقليمية ، مواصلا كفاحه بالرغم من فترات السجن المتلاحقة التى حكم عليه بها لاتصاله بالثوار، ولكتاباته الصريحة التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت خارجة على القانون .. وسرعان ما لاقت قصصه القصيرة النجاح الذى سمح له بالتفرغ لإنتاجه الفنى .

كان طبيعيا أن ينضم جوركى للثوار نظرا لتجاربه العديدة المبكرة وخبرته بمشاكل المجتمع الذى يعيش فيه . ولم تكن ثورته قاصرة على الأوضاع الفاسدة التى قضت على سواد الشعب أن يحيا حياة وضيعة مهينة لإنسانيتهم ، وإنما كانت موجهة كذلك ضد الطبقة المثقفة التى فقدت القدرة على فهم الحياة والرغبة فى القيام بعمل جدى ، وآثرت العافية بالانصراف إلى أعمالها اليومية التى تكفل لها لقمة العيش وحياة خالية من المتاعب .

ولقد صور جوركى فى القصة تلو القصة عالم المتشردين والأفاقين الذين كان مجرد وجودهم وصمة كبيرة فى جبين النظام الاجتماعى القائم وقتذاك ، ولكن الغريب فى الأمر أنه كان يصورهم مخلوقات قوية تستطيع التغلب على حياتها المحزنة بالاستمتاع بعواطفها بحرية ، وصب احتقارها على الضعفاء والمتخاذلين ، وتمجيد قوتها الشخصية وتحررها من قيود التقاليد .

أثارت هذه الشخصيات الروسية المغرقة فى الرومانسية ، ـ والقريبة الشبه

بشخصية المتشرد الأمريكى التقليدية ـ خيال الجمهور الروسى وإعجابه ، وأصبح جوركى رمزا للمعارضة الثورية ضد المجتمع القائم ، فازداد ولع الشعب به ولاسيما الجيل الناشىء .

مسرحيات مكسيم جوركى:

بدأ جوركى يعالج الكتابة للمسرح وهو فى أوج شهرته الأدبية ، فأخرجت مسرحيته « المواطنون المغرورون » « The Smug Citizens » على مسرح الفن بموسكو عام ١٩٠٢ . وهذه المسرحية ولو أنها لا تعد من أعماله الممتازة ، إلا أنها تتصف بصفات خاصة كفلت نجاحها لدى الجمهور فى ذلك الوقت ، وإن لم تلاق مثل هذا النجاح لدى النقاد .

وأبرز هذه السمات تصويرها للعامل على أنه مخلوق أرقى من المثقف العادى ، فمثالياته عملية ؛ يعرف ماذا يريد ، ولديه من قوة الإرادة ما يحقق له آماله . كل ذلك جعل هذه الشخصية هى الأصل بالنسبة لكل أبطال الطبقة الكادحة الذين يحفل بهم الأدب الروسى .

أما جوركى نفسه فقد كان أبعد الناس عن الرضى عن مسرحيته الأولى ، فقد كتب إلى تشيكوف عقب الانتهاء منها يقول :

« وبعد فلقد تحولت المسرحية إلى شيء كثير الضجيج والجلبة ، وهى مع ذلك سخيفة وتافهة .. وهى لا تعجبنى أبدا . لقد اعتزمت أن أكتب هذا الشتاء دون إبطاء مسرحية ثانية ، فإذا لم تعجبنى فسأكتب عشر مسرحيات أخرى حتى أحصل على ما أريد !.. وما أريده هو أن تكون المسرحية متناسقة وجميلة مثل الموسيقى » .

وهذه الإشارة إلى الموسيقى ليست فى الواقع إلا انعكاسا لإعجاب جوركى بمسرحيات تشيكوف . ولقد حقق جوركى هذه الصفة إلى حد بعيد فى مسرحيته الثانية « الحضيض » ، وإن كانت موسيقاها تنبع عن تفاعل أفكار أجيد التعبير عنها

وعن مقومات دقيقة لشخصياتها ، بعكس مسرحيات تشيكوف التي تصدر موسيقاها عن الترانيم العاطفية التي تصاحب حركة المسرحية .

وليس في إمكاننا في هذه العجالة أن نشير إلى كل مسرحيات جوركي ، وإن كان من الممكن أن نحاول - على وجه التقريب - تخطيط السمات الواضحة المشتركة بينها .

تمتاز معظم مسرحيات جوركي بجو غريب جديد خاص بها ، هو غريب بالنسبة للمسرح التقليدي وقواعده المتوارثة وإن كان أقرب مايكون إلى جو الحياة الحقيقية ، كما تمتاز بشخصياتها الحية التي تخصص جوركي في التقاطها من دروب الحياة وإعطائها على المسرح كل مقومات حياتها النفسية والاجتماعية .

وجوركي بعد هذا قلما يتقيد بحرفية الكتابة المسرحية فأغلب أعماله خالية من الحبكة التقليدية التي تتعقد حوادثها في الفصول الأولى حتى تصل إلى « الذروة » ثم تبدأ بعد ذلك تنحل في الفصول الأخيرة ، كما أنها قلما تدور حول مشكلة اجتماعية أو أخلاقية واحدة ، تتخصص في عرضها ورسم طرق العلاج لها .. فهي لا تعدو أن تكون عرضا بسيطا ساذجا للحياة نفسها بكل ما فيها من عيوب ومشكلات ، وللأشخاص الذين يعيشون هذه الحياة بكل مافيهم من انحطاط وسمو وتناقض ، تربط بينها وتوجد لها الوحدة الفنية المتماسكة روح جوركي الساخرة الدائمة التساؤل والبحث ، وفنه الواقعي الأصيل ؛ « ولقد كان جوركي دائما أضخم مما أراد أن يكون لأن إحساسه كان أعمق من تفكيره » ولعل في هذه العبارة الأخيرة — التي وصفه بها الشاعر الروسي الكبير ألكسندر بلوك — سر عظمته الفنية وعبقريته المبدعة .

هذه المسرحية :

تقع حوادث هذه المسرحيه في إحدى المدن الواقعة على نهر الفولجا في أوائل هذا القرن ، والأشخاص الذين سنلتقي بهم فيها ممن يسكنون منزل « كستليوف » يمثلون الطبقة المعروفة في روسيا باسم « الحفاة » . وهو اسم يطلق على الأفراد الذين

اعتادوا القيام بأعمال وقتية غريبـــة ، ولكنهم يتكسبون فى الأغلب عن طريق حصافتهم واحتيالهم على الناس .

ويكثر عدد هذه الطبقة المنبوذة بصفة خاصة فى الموانى والمدن الساحلية التى تعتبر دائما بيئة صالحة لإنجاب المجرمين والمتشردين .

ونلاحظ أن ثلاثة من أشخاص المسرحية من ربيبى السجون وهم «البارون» ، و«ساتن» ، و«فاسيلى» ، وكذلك «لوقا» - إذا أخذنا بالقصة السينمائية التى استمدها جوركى من هذه المسرحية - ولو أنه سار على الطريق القويم كما سنرى .

وثلاثة آخرون يمثلون شخصية العـــامل الشريف الواعى ، وهم « مولف المفاتيح «كلستش » ، وحمالا الميناء « جويتر» و« التترى» .. وحتى صانع القبعات الساخر «بوبنوف» مستقيم هو الآخر ولكن على طريقته الخاصة .

والمقابلة بين هذه الشخصيات واضحة الدلالة. وإن كان الهدف الأخلاقى للمسرحية لا يتبضح فى الغالب إلا خلال أحاديث كل من «ساتن» و«لوقا» و«فاسيلى» .

وحينما أخرجت « الحضيض » على مسرح الفن بموسكو لاقت نجاحا منقطع النظير وأجازها النقاد مع شيء قليل من التحفظ . فقد حيرتهم الرسالة الأخلاقية التى تهدف إليها المسرحية ، هل كان العجوز «لوقا» بحديثه الناعم وأكاذيبه المريحة التى يظل يوزعها على الناس طوال المسرحية ، هل يعتبر لوقا هـذا معبرا عن رأى جوركى ؟.. وهل تؤخذ أفكاره الغريبة على هذا الأساس بعين الجد والاعتبار ؟

كادت المناقشات الحامية التى دارت حول المسائل الأخلاقية التى تضمنتها المسرحية أن تطمس هذه الحقيقة ألا وهى أن «الحضيض» عمل فنى رائع يزخر بحياة متدفقة، كما أنها تعرض شخصيات فريدة جديدة على المسرح . هذا إلى جانب العبارات المأثورة الممتلئة حكمة وذكاء والمنتثرة هنا وهناك خلال المسرحية. وهى لكل ذلك توضع مع مسرحيتى « الذكاء المهلك » « Wit Works Woe » لجريبـــدوف . و« المفتش العام » « The Inspector General » لجوجول فى مرتبة واحدة لا يتطاول إليهـا أى إنتاج مسرحى روسى آخر .

وليس معنى هذا أن « الحضيض » عمل فنى فريد خال من كل عيب ، فقد استطاع تشيكوف أن يضع أصابعه على بعض العيوب فى خطاب كتبه إلى جوركى يقول فيه :

« لقد حذفت فى الفصل الرابع أهم الشخصيات (ماعدا الممثل) ولم تقدر عاقبة ذلك ، فقد يبدو هذا الفصل سخيفا ولا ضرورة له وخاصة بعد أن اختفى أهم الممثلين ، ولم يبق سوى المتوسطين منهم . وكذلك فإن موت « الممثل » بالغ الفظاعة تماما كأنك تضرب المتفرج فوق أم رأسه فجأة دون أن تعده لذلك .. وهذا البارون كيف وصل إلى هذا المسكن الليلى ؟ .. ولماذا هو بارون ؟ لم يتضح كل هذا بما فيه الكفاية أيضا » .

ولم يستمع جوركى لنصيحة تشيكوف وأبقى الفصل الرابع هو .

وواضح أن تشيكوف فى نقده هذا إنما يصدر عن الأصول المسرحية المتعارف عليها . وللقارىء بعد أن ينتهى من قراءة المسرحية أن يوافقه فيما ذهب إليه ، أو يرى معى فى موت الممثل وتعليق « ساتن » عليه تعليقا قصيرا يقطر بالسخرية المرة - التى هى طابع المسرحية كلها - أروع خاتمة كان يمكن أن تنتهى بها هذه الشحنة الزاخرة من الحيوات والمشاعر التى قدمها لنا جوركى فى مسرحيته .

وبعد ، فإن حياة المسرحية فى تمثيلها ، ولقد أقدمت على نشر هذه المسرحية فى كتاب لعلمى بأن رجال المسرح المصرى يحجمون عادة عن اقتحام أجواء مسرحية جديدة كتلك التى تعرضها الحضيض بحجة عدم استساغة الجمهور لها . ولكنى أرى أن هذا الإحجام قد آن له أن ينتهى ، وأن على القائمين على أمر مسرحنا إن أرادوا له الحياة والنهوض أن يقدموا لنا كثيرا جدا من الأجواء الحية المختلفة التى يعرضها المسرح العالمى الحديث ؟

المترجم

الاسكندرية : أكتوبر سنة ١٩٥٣

الحـــــضيض

أشخاص المسرحية

		السن
البارون :	(The Baron)	٣٣ سنة
كفاشنيا :	(Kvashnya) بائعة فطائر فى السوق	٤٠ »
بوبنوف :	(Bubnov) صانع قبعات	٤٥ »
ناستيا :	(Nastya) فتاة من الشارع	٢٤ »
آنـــا :	(Anna) زوجة كلستش	٣٠ »
كلستش :	(Klestch) «مولّف» مفاتيح	٤٠ »
ساتن :	(Satin)	حوالى ٤٠ »
الممثل :	(The Actor)	فى العقد الخامس
كُستليوف :	(Kostylyov) صاحب المنزل	٥٣ سنة
فاسيلى :	(Vassily (Vassya) Peppel)	٢٨ »
ناتاشا :	(Natasha) شقيقة فاسيليا	٢٠ »
لوقا :	(Luka) حاج	٨٠ »
أليوشكا :	(Alyoshka) اسكاف	٢٠ »
فاسيليا :	(Vassilissa Karpovna) زوجة كستليوف صاحب المنزل	٢٦ »
مدفديف :	(Abram Ivanych Medvedev) شرطى وعم كل من ناتاشا وفاسيليا	٥٠ »

التترى : (The Tartar) } من حمالى الميناء.
جويتر : (The Goiter) }

الفصل الاول

[« قبو » مظلم كالكهف ، السقف شديد التقوس ، ومسود من أثر الدخان ، وبه ترميات عديدة . يدخل الضوء من جهة النظارة ، ومن نافذة مربعة فى أعلى الحائط الأيمن ... الركن الأيمن مفصول بحاجز خشبي رقيق خلفه حجرة فاسيلى - وبجوار الباب المؤدى إلى هذه الحجرة يوجد سرير بوبنوف (*) . فى الركن الأيسر فرن روسى كبير بجواره الباب المؤدى إلى المطبخ حيث تسكن كفاشليا والبارون وناستيا — بين الفرن وباب المطبخ سرير كبير محجوب بستار قذر من القطن المطبوع ، وفى كل مكان بحذاء الجدران توجد أسرة خشبية منخفضة . وقريبا من الحائط الأيسر توجد كتلة من الخشب عليها مطرقة وسندان ، يجلس أمامها كاستش - على كتلة أصغر مشغولا بتجريب مفاتيح فى أقفال قديمة . على الأرض مجموعتان من المفاتيح ، كل منهما مربوطة فى حلقة من السلك ، وإبريق شاى قديم مصنوع من الصفيح ، وقدوم ، وبعض المبارد .

فى وسط المكان منضدة كبيرة عليها إبريق شاى روسى (ساموفر) وحولها أريكتان خشبيتان ومقعد خشبي مربع لا ظهر له ، وهى جميعاً غير مطلية وقذرة . كفاشنيا أمام المائدة تعد الشاى ، وبجوارها البارون يقضم قطعة من الخبز الأسمر بينما تجلس ناستيا على المقعد متكئة على المنضدة وهى تقرأ فى كتاب بال . آنا نائمة على السرير خلف الستار تسعل سعالا مسموعا . بوبنوف - صانع القبعات - جالس على سريره الخشبى وقد وضع قالب قبعات بين ساقيه يقيس عليه سروالا ممزقا باحثا عن خير طريقة لقص القماش ، وقد تناثر حوله صندوق قبعـــات ممزق به ثقب ،

(*) وهو أريكة خشبية منخفضة من النوع الذى كان مستعملا فى سجون روسيا وفى فنادقها الرخيصة .

وقصاصات من القماش ، وأثواب قديمة . ساتن — وقد استيقظ من النوم لتوه — مستلق على سريره يصدر أصواتا حلقية عالية . يجلس « الممثل » أعلى الفرن بحيث لايراه الجمهور — يتململ ويسعل .

الوقت صباح فى مستهل الربيع .]

البارون : حسنا — استمرى .

كفاشنيا : قلت له : لا ياصديقى ابتعد عنى ... فقد جربت كل ذلك من قبل ولن تستطيع الآن أن تجعلنى أقف معك أمام القسيس حتى ولو ابتعت لى مئات من « الجمبرى » المسلوق.

بوبنوف (لساتن) : — علام هذه الضجة ؟

(يستمر ساتن فى تثاؤبه وضجيجه)

كفاشنيا : وقلت له أيضا أنا ، السيدة الحرة ومالكة نفسى ، أضع اسمى فى جواز سفر شخص آخـــر ، وأجعل نفسى عبدة لرجل؟ أبدا لن أتزوجه ولو كان أميرا أمريكيا .

كلستش : كذابة !

كفاشنيا : ماذا تقول ؟

كلستش : إنك تكذبين وسوف تتزوجين مدفديف .

البارون (يخطف كتاب ناستيا ويقرأ عنوانه) : « الحب القاتل » (يضحك).

ناستيا (مادة يدها) : أعطنى الكتاب ... ولاتكن طفلا (البارون يحملق فيها ملوحا بالكتاب فى الهواء) .

كفاشنيا (لكلستش) : أناكذابة أيها الجدى الأحمر ؟. انا كذابة؟كيف تجرؤ على مخاطبتى بهذا الشكل ؟

البارون (يضرب ناستيا على رأسها بالكتاب) : يالك من غبية ياناستيا !

ناستيا (وهى تستخلص الكتاب من يده) : دعنى آخذه.

كلستش : هاها ... إنك سيدة عظيمة ولكنك مع ذلك ستتزوجين مدفديف لأن ذلك هو منتهى أملك .

كفاشنيا : آه بالطبع — فليس لدى فرصة أحسن.. لقد أضنيت زوجتك حتى أوشكت على الموت .

كلستش : اخرسى أيتها الخنزيرة العجوز ! ليس هذا شأنك !

كفاشنيا : إنك لا تحب سماع الحقيقة .

البارون : هاهى ذى تعود ! ماذا تفعلين ياناستيا ؟

ناستيا (دون ان ترفع رأسها عن الكتاب) : ابتعد عنى !

آنـــا (تبرز رأسها من وراء الستار) : يوم آخر يبدأ ! بالله عليكم كفوا عن الصراخ والعراك !

كلستش : هاهى ذى تعود لأنينها ثانية .

آنـــا : كل يوم نفس الحكاية . ألا تدعوننى أموت فى هدوء ؟

بوبنوف : لم يحدث أن منع الضجيج أحدا من الموت .

كفاشنيا (ذاهبة إلى فراش آنا) : كيف تستطيعين الحياة مع وحش كهذا ؟

آنـــا : اتركينى وشأنى —

كفاشنيا : فليكن — إنك معـــذبة صابرة أيتها الروح البائسة - كيف حال صدرك اليوم ؟ أحسن ؟

البارون : كفاشنيا ! هذا وقت الذهاب الى السوق .

كفاشنيا : إنى قادمة (لآنا) هل لك فى بعض فطائر ساخنة باللحم ؟

آنـــا : لا ـــ أشكرك ... لماذا أضايق نفسى بالأكل ؟

كفاشنيا : هونى على نفسك . إن سخونة الفطائر مريحة لصدرك ـ سأترك لك شيئا منها فى طبق ـ كليها متى وجدت فى نفسك الرغبة . (للبارون) هيا بنا أيها النبيل ... (لكاستش) أنت ياشيطان! (تذهب الى المطبخ).

آنـــا (تسعل) : يـــارب !

البارون (يربت على كتف ناستيا): اتركى هذا يا غبية .

ناستيا (بصوت عال): اذهب ـــ لاحاجة لى بك .

(البارون يتبع كفاشنيا وهو يصفر) .

ساتن (يجلس فى فراشه) : من الذى ضربنى ليلة أمس؟

بوبنوف : وهل هنـاك فرق ؟

ساتن : يبدو أنك محق ـ ولكن لماذا ضربونى ؟

بوبنوف : هـــل قامرت ؟

ساتن : نعـــم .

بوبنوف : إذن فمن أجل هذا ضربوك .

ساتن : تبا لهم .. هؤلاء الملاعين الأقذار !

الممثل (يخفض رأســـه من أعلى الفرن) : إنهم سيضربونك ذات يوم حتى تموت .

ساتن : إنك غـــبى .

الممثل : لمـــاذا ؟

ساتن : لأنه لا يمكن قتل رجل مرتين !

الممثل (بعد فترة صمت) : لا أفهم ـ ولم لا ؟

كلستش : الأفضل أن تنزل من فوق الفرن وتنظف المكان ـ لقد طال بقاؤك هكذا بدون عمل .

الممثل : هذا لا يعنيك .

كلستش : انتظر حتى تحضر فاسيليا إنها ستريك من الذى يعنيه هذا .

الممثل : إلى الجحيم بفاسيليا ــ إن الدور فى الكنس اليــوم على البارون . بارون !

البارون (يدخل من باب المطبخ) : ليس لدى وقت للتنظيف أنا ذاهب إلى السوق مع كفاشنيا .

الممثل : ليس هذا من شأنى ــ لتذهب إلى السجن إذا شئت ولكنه دورك فى كنس الأرض وانا لن أقوم بعمل غيرى .

البارون : ياللشيطان .. ناستيا ستكنس عنى ــ هيه .. أنت أيتها « الحب القاتل » استيقظى (يخطف منها الكتاب) .

ناستيا (تعتدل فى جلستها) : ماذا تريد ؟ هات الكتاب أيها الصعلوك . تسمى نفسك نبيلا !

البارون (يعيد الكتاب اليها) : ناستيا ... اكنسى الأرض بدلا منى .. هل ستفعلين ؟

ناستيا (تذهب الى المطبخ) : لا ــ أشكرك .

كفاشنيا (تظهر على الباب وتخاطب البارون) : هيا بنا ــ فهم يستطيعون تنظيف المكان بدونك .. لقد طلب إليك ذلك أيها الممثل ، وعليك أن تفعله . والكنس لن يقصم ظهرك على أى حال .

الممثل : دائما أنا . . . ولا أستطيع أن أفهم لماذا !

البارون (يدخل وعلى كتفيه عارضة خشبية معلق على طرفيها سلتان مليئتان بأوان مغطاة بقطع من القماش) : إنها ثقيلة اليوم .

ساتن : لم تكد تتمتع بكونك ولدت بارونا !

كفاشنيا (الممثل) : والآن هل تسمح بكنس الأرض ؟ (يخرج البارون تتبعه كفاشنيا)

الممثل (ينزل من على الفرن) : من العسير على أن أستنشق التراب (يتحدث متعاظا) إن أعضائى كلها قد تسممت بالكحول . (يجلس على سرير خشبي ويغرق فى التفكير)

ساتن : أعضاء — تركيب .

آنـــا : كلستش .

كلستش : ماذا تريدين الآن ؟

آنـــا : لقد تركت كفاشنيا لى بعض الفطائر هناك — كُلْها .

كلستش (يسير إليها) : ألن تأكليها أنت ؟

آنـــا : لا — أنا لا أريدها — لماذا آكل؟ أما أنت فتشتغل وتحتاج إليها .

كلستش : هل أنت خائفة؟ — لا تخافى . فقد تتحسن صحتك —

آنـــا : إذهب وكل الفطائر — أما أنا فإنى أشعر بقرب نهايتى .

كلستش (يتحرك مبتعدا عنها) : لا تبالى فقد يزول عنك المرض — إن هذا يحدث أحيانا . (يختفى فى المطبخ)

الممثل (بصوت عال كمن استيقظ فجـــأة) : لقد قال لى الطبيب أمس فى

المستشفى إن أعضاءك قد تسممت تماما بالكحول .

ساتن (مبتسما) : — تركيبك .

الممثل (بإصرار) : ليس تركيبي وإنما أعضائى .

ساتن : إنك أبـــله .

الممثل : (يلوح بيده فى وجهه) أنت وتحريفك ... إنى أتحـــدث جادا ، إذا كانت أعضائى مسممة بالكحول فإنه يضـــرنى كنس الأرض واستنشاق التراب .

ساتن : ميكروبات . هيه .

الممثل : ما هذه التمتمة ؟

ساتن : كلمات .. هاك كلمة أخرى «ترانسيت دنتال» (transit - dèntal)

الممثل : ما معنى هذه الكلمة ؟

ساتن : لا أدرى ... لا أستطيع ان أتذكر .

بوبنوف : ولماذا تقولها إذن ؟

ساتن : لأنى متعب ياصديقى من كل الكلمات البشرية ... من كلماتنا ـ لقد ضجرت منها — لقد سمعت كل كلمة منها ألف مرة .

الممثل : فى رواية « هاملت » يقول شكسبير «الكلمات ـ الكلمات ـ الكلمات!» رواية رائعة ؛ لقد قمت فيها بدور حافر القبور .

كلستش (يدخل من باب المطبخ) : ومتى ستقوم بدور الكناس ؟

الممثل : ليس من شأنك . (داقا على صدره) ما أجمل « أوفيليا » أيتها الحورية الحسناء ، اشفعى لى فى ذنوبى كلها ـ (تسمع من خارج المسرح

ضجة ، وصراخ وصوت صفارة شرطى . يرجع كلستش إلى عمله وقد أمسك بمبرد فى يده)

ساتن : أنا أحب الكلمات الغريبة التى لا أستطيع فهمها — حينما كنت صبياً كنت أعمل فى مكتب تلغراف وكنت أقرأ كثيرا من الكتب —

بوبنوف : إذن فقد كنت عامل تلغراف ايضاً ؟

ساتن : نعم — وكانت لدى مجموعة من الكتب القيمة المليئة بالكلمات الغريبة . لقد كنت شخصا مثقفا .

بوبنوف : لقد سمعت هذا مائة مرة - فماذا فى ذلك ؟ - لقد كنت أنا صانع فراء فى يوم من الأيام وكان لى دكان خاص بى وكانت يداى مصفرتين من صبغ الفراء . كانتا مصفرتين حتى مرفقى ... وكنت أظن أنهما لن تتخلصا من هذا اللون أبدا . . وأنى سأذهب إلى قبرى بذراعين مصفرتين . . ولكن انظر إليهما الآن . . هيه ، إنهما قذرتان ليس إلا .

ساتن : وماذا بعد ذلك ؟

بوبنوف : لاشىء . . . هذا كل مافى الأمر .

ساتن : ما الذى تقصده بهذه القصة ؟

بوبنوف : العظة ولا شىء غير العظة . . . وهى تتلخص فى أنه لايهم مطلقاً كيف تطلى نفسك — لأن ذلك كله سيتلاشى . . سيتلاشى كله .

ساتن : أوه . . . إن عظامى تؤلمنى .

الممثل (يجلس واضعا يديه حول ركبته) : التعليم سخف — وإنما المعول

على الموهبة . لقد كنت أعرف ممثلا لايكاد يقرأ حرفا واحدا . . ولكنه ما كان يعتلى خشبة المسرح حتى يضج النظارة بالتصفيق وصياح الإعجاب .

ساتن : بوبنوف — أعطنى خمسة كوبكات .

بوبنوف : كل ما معى اثنان .

الممثل : أنا أعتقد أن الموهبة هى كل ما يحتاج إليه الممثل . . والموهبة هى ثقة المرء بنفسه وبقوته .

ساتن : أعطنى خمسة كوبكات . . وحينئذ أصدق أنك موهوب ، وبطل ، وتمساح، وضابط بوليس، وكل ما تريد ـ كلستش، أعطنى خمسة كوبكات.

كلستش : اذهب إلى الجحيم . . فهنا كثير مثلك .

ساتن : لماذا تسب ؟ أنا أعلم أنك لا تملك نقوداً على الإطلاق .

آنا : كلستش إنى أشعر بالاختناق وبألم شديد .

كلستش : وما الذى أستطيع أن أفعله لك ؟

بوبنوف : افتح باب الصالة .

كلستش : أشكرك . . إنك تجلس على الفراش ـ بينما أجلس أنا على الأرض؛ دعنى آخذ مكانك وحينئذ تستطيع أن تفتح الباب كما تريد . . . وعلى كل حال فأنا مصاب بالزكام .

بوبنوف (بهدوء) : ـ ليس هناك ما يدفعنى إلى فتح الباب .. إنها زوجتك التى تريد ذلك .

كلستش (عابسا) : إن الناس لا يتورعون عن طلب أى شىء .

ساتن : آه ! إن رأسي يدور ! .. إنى أريد أن أعرف لماذا يضرب الناس بعضهم بعضا على الرأس .

بوبنوف : ليس على الرءوس فحسب ـ ولكنهم يفعلون ذلك ببقية أجزاء الجسم أيضا . (وهو ينهض) يجب أن أذهب لشراء بعض الخيط. شيء غريب ـ إن صاحب البيت وزوجته لم يظهرا حتى الآن ـ لعلهما ضلا الطريق ـ (يخرج) .

(تسعل آنا .. ساتن نائم بلا حراك وقد توسد ذراعيه)

الممثل (ينظر حوله بعينين حزينتين ثم يتجه إلى فراش آنا) : هل تشعرين بألم ؟

آنا : إن الجو رطب هنا .

الممثل : إذا أحببت فإنى آخذك إلى الصاله .. هيا قومى (يساعد آنا على القيام ويضع ثوبا قديما على كتفيها ثم يقودها إلى الردهة الخارجية متأبطا ذراعها) هيا تقدمى أنا نفسى مريض ... مسمم بالكحول.

(يظهر كوستليوف بالباب)

كوستليوف : هل أنتما خارجان للنزهة أنتما زوج رائع ـ نعجة وكبش !

الممثل : أفسح الطريق ـ ألا ترى المرضى خارجين .

كوستليوف . مر من فضلك (يدندن بأغنية وينظر فى أنحاء المكان مرتابا ـــ ثم يتجه برأسه إلى الناحية اليسرى كمن يحاول سماع مايدور فى حجرة فاسيلى . كلستش فى مكانه يعالج مفاتيحه وقد قبض على مبرد فى يده وهو يراقب صاحب المنزل بطرف عينيه) أنت تبرد .. هيه؟

كلستش : مــاذا تقول ؟

كستليوف : أقول إنك تبرد (بعد لحظة صمت) آه ـ عن أى شىء أردت أسألك؟ (بسرعة وبصوت منخفض) هل أتت زوجتى إلى هنا ؟ ـ

كلستش : لـــم أرهـا .

كستليوف (يتحرك حـذرا نحو حجرة فاسيلى) : ياله من مكان فسيح هـذا الذى تستأجره منى لقاء روبلين كل شهر ! سرير ومكان للجلوس ؛ أقسم أن ذلك يساوى خمسة روبلات كاملة . أعتقد أنى سأرفع الإيجار نصف روبل .

كلستش . ارفعنى أنا من رقبتى واخنقنى فهـذا أفضل . . إنك ستموت عما قريب وليس هناك ما يشغل بالك سوى أنصاف الروبلات .

كستليوف: لماذا أخنقك ولن يستفيد أحد من هذا؟ ليحفظك الله أيها الرجل الطيب، ولتعش ملء الحياة، ولـكننى سأرفع إيجارك نصف روبل. فهذا سيجعلنى أزيد كميـة الزيت التى أشتريها لقنديلى فى الهيـــكل وسيزيد هذا اشتعال قربانى أمام الهيكل المقدس ، وهذا القربان سيكـفر لى عن آثامى . . . وعن آثامـك أنت أيضا . . . إنك لم تفـكر فى آثامك قط . . هل فعلت ذلك مرة ؟ . . . آه يا كلستش إنك إنسان حقير ولقد ذبلت زوجتك بسبب حقارتك . لا يوجد من يحبك أو يحترمك، وعملك يصك الآذان ويزعج الناس .

كلستش : هل جئت الى هنا لتوبخنى ! (ساتن يصدر صوتا كالزئير)

الممثل . لقد أجلست السيدة فى الردهة الخارجية وغطيتها . . .

كستليوف . إن لك قلبا طيبا أيها الصديق . . . وهذا جميل سيحسب لك . .

الممثل : مــتى ؟

كستليوف : فى العـالم الآخر ياصديقى - كل عمـل، كل شىء يدخل فى حساب الإنسان هناك .

الممثل . هذا هناك . . ولكن هنا ينبغى أن تكافئنى أنت على طيبتى .

كستليوف : هنا . . وكيف أستطيع هذا ؟

الممثل . تنازل عن نصف دينى لك .

كستليوف . هيه. هه ! لتستمر فى فكاهاتك وتمثيلك ياصديقى العزيز . . ولكن لماذا تربط بين طيبة القلب والنقـــود ؟ إن الطيبة فوق كل الاعتبارات المادية . . أما الدين الذى عليك فهو كما هو - دين . ولذلك فسترده إلى . . إنى رجل عجوز فيجب أن تعاملنى معاملة طيبة دون أن تنتظر مكافأة .

الممثل : عجوز ! . . إنك نذل .

(يدخل الممثل المطبخ وينهض كلستش ويخرج إلى الردهة)

كستليوف (لساتن) : لقد هرب هذا البراد . . هه هه ! . إنه لايحبنى .

ساتن . ومن الذى يحبك ؟ هذا باستثناء الشيطان بالطبع .

كستليوف (متضاحكا) : إنك ذكى وأنا أحبك وأفهمك . . . أيها الأخ التعس المحطم العديم القيمة . . (فجأة وبسرعة) هل فاسيلى هنا ؟

ساتن . ادخل وانظر .

كستليوف (يذهب إلى باب فاسيلى ويطرقه) : فاسيلى .

(يظهر الممثل على باب المطبخ وهو يمضغ شيئا)

فاسيلى (من خارج المسرح) : من بالباب ؟

كستليوف : أنا . . يا فاسيلى .

فاسيلى (وهو بداخل حجرته) : ماذا تريد ؟

كستليوف (يبتعد عن الباب) : افتح .

ساتن (دون أن ينظر إلى كستليوف) : سيفتح وستجدها بالداخل .

(الممثل يضحك) .

كستليوف (مذعورا وبصوت منخفض) : ما هذا ؟ من هى التى بالداخل ؟..
ماذا تعنى ؟

ساتن : هل تكلمنى ؟

كستليوف : ما هذا الذى قلته ؟

ساتن : كنت أتحدث إلى نفسى .

كستليوف : احترس أيها الصديق واعرف متى يجب أن تكف عن فكاهاتك ـ
نعم ، يجب أن تعرف ، (يطرق باب فاسيلى بقوة) فاسيلى .
(يفتح فاسيلى الباب)

فاسيلى : حسنا ؟ ما الذى تبغيه من إزعاجى ؟

كستليوف (يحاول الدخول إلى الحجرة) . أنت ترى أن لدى ـــ

فاسيلى : هل أحضرت النقود ؟

كستليوف : هناك مسألة أحب أن أكلمك فيها .

فاسيلى : هل أحضرت النقود ؟

كستليوف . أى نقود ؟ .. انتظر ـــ

فاسيلى : النقود ـــ الروبلات السبعة، بقية ثمن الساعة ـــ هيـا ـــ

كستليوف : أى ساعة ؟ أوه يا فاسيلى .

فاسيلى : اسمع ! بالأمس بعتك ساعة أمام شهود بعشرة روبلات ولم أتسلم منك سوى ثلاثة ـ والآن أعطنى السبعة الباقيـــة .. لماذا تغمزنى هكذا؟ إنك تأتى هنا تتسكع و تقلق النائمين ، ولكنك لا تعرف ماعليك .

كستليوف : هش ! لا تفقــد أعصابك يا فاسيلى .. الساعة ـــ آه لقــد تذكرت ؛ إنها ـــ

ساتن : من البضائع المسروقة ..

كستليوف (بحزم) : أنا لا أشترى بضائع مسروقة .. كيف تقول هذا ؟

فاسيلى (يمسك بكتف كستليوف) : لماذا أيقظتنى ؟ ماذا تريد ؟

كستليوف : لاشىء ـــ سأذهب إن كان هذا يرضيك .

فاسيلى : اذهب و أحضر النقـــود .

كستليوف : يالكم من أشرار ! (يخرج) .

الممثل : كوميديا محبوكة !

ساتن : ورائعة ! إنها تعجبنى .

فاسيلى : ما الذى جاء به إلى هنـــا ؟

ساتن : ألا تفهم ؟ إنه يبحث عن زوجته . لماذا لا تقتله يافاسيلى ؟

فاسيلى : إنه همل لا يساوى تضحية حياتى من أجله .

ساتن : فى إمكانك أن تحكم تدبير الأمر .. وعندها تستطيع أن تتزوج فاسيليا وتصبح صاحب البيت الذى نسكنه .

فاسيلى : وهل سأبقى المالك طويلا ؟ إنكم بقلوبكم الرحيمة ستبتلعون أملاكى فى حانة وتبتلعوننى أنا كذلك . (يجلس على أحد الفرش) لقد أيقظنى ذلك العجوز المزعج بينما كنت أرى فى نومى حلما جميلا - كنت أصطاد فى مكان ما — فاصطدت سمكة ضخمة ضخامة لا توجد إلا فى الأحلام ، ثم أخذت أسحب السنارة وأنا أخشى أن ينقطع الخيط - وأعددت السلة لأضع فيها هذه السمكة الضخمة -

ساتن : لم تكن هذه سمكة ... إنها فاسيليا .

الممثل : لقد اصطاد فاسيليا من زمن بعيد .

فاسيلى : اذهبوا جميعا إلى الجحيم ... أنتم وفاسيليا !

(يدخل كلستش من الردهة)

كلستش : لعنة الله على هـــذا البرد .

الممثل : لماذا لم تدخل آنــا ؟ إنها ستموت من البرد .

كلستش : لقد أخذتها ناتاشا إلى مطبخها .

الممثل : سيلقيها العجوز خارجا .

كلستش (يجلس ليتابع عمله) : لا بأس، فى هـــذه الحالة ستعيدها ناتاشا إلى هنا .

ساتن : فاسيلى - أعطنى خمسة كوبكات .

الممثل (لساتن) : خمسة كوبكات ! اسمع يا فاسيلى ـ أعطنا ربع روبل.

فاسيلى : الأفضل أن أعطيكما إياه حالا قبل أن تطلبا روبلا كاملا. هذا هو!

ساتن : يا لله ! ليس هناك من هو أسعد حالا من اللصوص .

كلستش : إن المال يأتيهم بسهولة دون أن يعملوا .

ساتن : إن المال يأتى بسهولة لكثير من الناس، ولكن ليس بحيث يضيعونه بنفس السهولة ـ أما العمل فنى إمكانى أن أقوم به لو كان فيـــه بعض المتعة. نعم من الممكن أن أقوم به . . فحينما يكون فى العمل شىء من المتعة تصبح الحياة سعيدة ! ولكن حينما يكون واجباً فحسب فإن الحياة تصبح عبودية . (للممثل) هيا يا « ساردانابالس » (Sandanpalus)

الممثل : هيـا يا « نبوشادنزار » (Nebuchandnezzar) :ـ إنى سأشرب الليلة مقدار ما يشربه أربعة آلاف سكير معاً . (يخرجان)

فاسيلى (متثائباً) : كيف حال زوجتك ؟

كلستش (بعد فترة صمت) : يبدو أنها ستموت قريبا .

فاسيلى : إنى كلما نظرت إليك لم استطع أن أجد أى فائدة لعملك هذا !

كلستش : وهل فى إمكانى أن أقوم بعمل آخر؟

فاسيلى : لا تصنع شيئاً .

كلستش : وكيف آكل ؟

فاسيلى : هناك أناس كثيرون لايعملون شيئاً . . . ويعرفون مع ذلك كيف يأكلون .

كلستش : هل تعنى هؤلاء الذين يسكنون هنـا ؟ . . إنهم ليسوا أناساً ـ إنهم

حثالة أوغاد ... أما أنا فعامل وأشعر بالخجل حينما أنظر إليهم .. لقد بدأت أعمل منذ كنت صبياً .. إنك تظن أنى سأبقى فى هذا المكان ؟ ـ لا ـ إنى سأخرج زاحفاً من هذا الجحر حتى ولو كان فى ذلك سلخ جلدى .. ولكن انتظر حتى تموت زوجتى ـ لقد عشت هنا ستة أشهر كانت كست سنوات .

فاسيلى : إنك مخطىء فى هذا .. فليس هنا من هو أسوأ منك حالا .

كاستش : ليسوا أسوأ منى ! هؤلاء الذين ليس لهم شرف أو ضمير .

فاسيلى (بغير مبالاة) : ما قيمة الشرف أو الضمير ! إنك لا تستطيع أن تلبسهما فى قدميك بدل الحذاء .. الشرف والضمير مهمان بالنسبة للأقوياء القادرين فقط . (يدخل بوبنوف)

بوبنوف : ياه ... إنى أرتجف من البرد !

فاسيلى : بوبنوف ... هل عندك ضمير ؟

بوبنوف : ماذا ؟ ضمير ؟

فاسيلى : نعم هذا ما قلته .

بوبنوف : وماذا أفعل به ؟ إنى لست ثرياً .

فاسيلى : هذا ما كنت أقوله الآن .. الأغنياء وحدهم ـ هم الذين يحتاجون إلى الشرف والضمير ولكن ها هو ذا كلستش يعيرنا ويقول إننا لا ضمائر لنا .

بوبنوف : ولماذا ؟ هل يريد أن يقترض بعضها .

فاسيلى : لا ـ إنه يملك الكثير منها .

بوبنوف (لكلستش) : إذن فأنت تبيعها ! لا بأس ولكنك ستقاسى كثيراً

حتى تجد مشترياً واحداً هنا ... هناك شيء واحد أرغب في شرائه ... اوراق اللعب المعلمة ـ وحتى هذه يجب أن تكون على الحساب .

فاسيلى (لكلستش) : إنك غبي يا كلستش يجب أن تستمع إلى آراء ساتن او البارون عن الضمير .

كلشش : ليس هناك ما يدفعنى إلى محادثتهما .

فاسيلى : إنهما أذكى منك بالرغم من سكرهما المتواصل .

بوبنوف : كن سكيراً وذكيا تعش سعيدا .

فاسيلى : يقول ساتن « إن كل إنسان يريد من جاره أن يكون ذا ضمير ولكنه لا يشترط ذلك فى نفسه ـ فينتهى الأمر إلى عدم وجود شخص واحد عنده ضمير . » وهذا حق .

(تدخل ناتاشا يتبعها لوقا ممسكا فى يده عصا وعلى ظهره حقيبة ريفية ويتدلى من حزام فى وسطه إبريق شاى وكوب .)

لوقا : أسعدتم صباحا أيها القوم الشرفاء .

فاسيلى (يعبث بشاربه) : آه .. ناتاشا !

بوبنوف (محدثا لوقا) . شرفاء ؟.. لقد كنا كذلك . . أما الآن فهل تراهن على اننا قد نسينا مدلول هذه الكلمة ؟

ناتاشا : هذا ساكن جديد .

لوقا : إن هذا يستوى عندى فأنا أحترم حتى المجرمين .. وفى رأيى أن البراغيث كلها سواء ، فهى جميعاً سوداء وتجيد القفز .. أين أستطيع أن أمدد جسمي يا عزيزتى ؟

ناتاشا (تشير إلى باب المطبخ) ادخل هنا أيها الجد.

لوقا : شكرا يا بنيتي .. أينما أردت .. فكل مكان دافىء وطن بالنسبة لرجل عجوز مثلي . (يخرج)

فاسيلي : يا له من عجوز طريف ـ هذا الذي جئت به يا ناتاشا .

ناتاشا : إنه أطرف منك، إن زوجتك بمطبخنا ياكلستش .. تعال خذها بعد قليل .

كلستش : حسناً،سآتي.

ناتاشا : يجب أن تعاملها برقة يا كلستش فهي لن تعيش طويلا .

كلستش :أعلم هذا .

ناتاشا : تعلم ! لا يكفي أن تعلم ـ يجب أن تفهم؛ إن الموت شيء مخيف .

فاسيلي : إني لا أخاف الموت .

ناتاشا : إذن فأنت شجاع .

بوبنوف (يصفر) إن هذا الخيط تالف .

فاسيلي : حقاً .. أنا لا أخاف الموت وسأرضى به في أية لحظة.. الآن .. خذي خنجراً واطعنيني في قلبي فأموت دون زفرة أسف واحدة ـ بل إني سأموت سعيداً لأن يدا طاهرة هي التي قتلتني .

ناتاشا : (وهي تستدير للخروج) خير لك أن تحاول خداع غيري .

بوبنوف : (ببطء) إن هذا الخيط تالف حقا .

ناتاشا : (وهي خارجة من الباب) لا تنس أن تحضر لأخذ زوجتك يا كلستش.

كلستش : لن أنسى .

فاسيلى : لماذا هى قاسية معى هذه القسوة ؟ ... إنها تهملنى — ولكنها ستفسد هنا لا محالة .

بوبنوف : نعم ستفسد .. وأنت الذى ستفسدها .

فاسيلى : ولماذا أنا ؟ إنى أشعر بالأسى من أجلها .

بوبنوف : مثلما يشعر الذئب بالأسى من أجل الحمل .

فاسيلى : هذا كذب، إنى شديد الأسى من أجلها حقا، فهى تقاسى هنا كثيرا وهذا واضح

كلستش : انتظر حتى تضبطك فاسيليا تتحدث معها .

بوبنوف : فاسيليا ؟ إنها لا تفرط لأحد فى ممتلكاتها .

فاسيلى : (يستلقى على الفراش) لتذهبا إلى الجحيم .. كلاكما .. والأنبياء كذلك .

كلستش : سوف ينتقم الله منك ... انتظر .

لوقا : (يغنى فى المطبخ) : فى ظلام الليل لن تستطيع الاهتداء الى الطريق المستقيم .

كلستش : أنصتوا الى هذا العواء .. ساكن جديد ! هه ! (يخرج إلى الردهة)

فاسيلى : يالله - لقد مللت الحياة كلها .. ماالذى يجعلنى أشعر بالملل ؟ إن الإنسان ليعيش أيامه فى حبور .. وفجأة وكمن يصاب بالزكام إذا به قد مل كل شىء .

بوبنوف : ملل ؟ هه .

فاسيلى : حتى أذنى .

لوقا (يغنى فى المطبخ) : لا ياسيدى لن تستطيع الاهـــتداء الى الطريق المستقيم —

فاسيلى : أنت أيها الرجل العجوز !

لوقا (يطل برأسه من باب المطبخ) : هل تخاطبنى ؟

فاسيلى : نعم أنت .. كف عن الغناء .

لوقا (يدخل) : ألا تحب الغناء ؟

فاسيلى : أحبه .. حينما يكون جميلا .

لوقا : إذن فغنائى قبيح؟

فاسيلى : يبدو أن الأمر كذلك .

لوقا : تصوروا ! لقد كنت أظن أنى أحسن الغناء .. إن هذا يحدث كثيرا. يقول الرجل لنفسه : إنى أقوم بعمل حسن ـ وفجأة إذا به يجـــد الجميع غاضبين .

فاسيلى (ضاحكا) : هذا حق.

بوبنوف : لقد كنت تقول إنك مللت الحياة ، وهأنت ذا تقهقه .

فاسيلى : وما دخلك أنت فى هذا أيها الغراب المزعج ؟

لوقا : من هو الذى مل الحياة هنا ؟

فاسيلى : أنا . (يدخل البارون)

لوقا : تصور هذا ! هناك فى المطبخ فتاة جالسة وهى تقرأ فى كتاب وتبكى ... نعم تبكى ! والدموع تنهمر من عينيها ـ فسألتها : « لماذا تبكين ياعزيزتى ؟» أجابتنى : « إنى أشعر بألم شديد من أجله فلما سألتها: « من هو ؟ » أجابتنى وهى تنتحب : « إنه هذا الرجل بطل القصة التى أقرأها . » إن بعض النـــاس يبحثون عن أشياء غريبة يضايقون بها أنفسهم . أليس كذلك ؟ ولعل ذلك راجع إلى الملل أيضا .

البارون : هذه الفتاة ... إنها بلهاء ..

فاسيلى : هل شربت شايا يابارون ؟

البارون : نعم ... هه ؟

فاسيلى : هل ترغب فى أن أدعوك إلى شرب نصف زجاجة من الخمر ؟

البارون : بالتأكيد أرغب ... هه .

فاسيلى : لتركع إذن على أربع ولتنبح مثل الكلب .

البارون : أيها المغفل ! من أنت ؟ تاجر ثرى أم سكير ؟

فاسيلى : أوه ـ هيا انبح قليلا .. إن هذا سيسرى عنى فأنت واحد من ذوى الرفعة الأقوياء ـ ولقد مر عليك وقت كنت تنظر فيه إلى العامة من أمثالى وكأنهم ليسوا بشرا ... الى آخر تلك الأمور .

البارون : وبعـــد ؟

فاسيلى : سأجعلك اليوم تنبح مثل الكلاب .. إنك ستنبح .. أنت تعلم أنك ستفعل .

البارون : حسنا ــ سأفعل أيها الغبي ! ولكن أى نوع من السرور ستخرج به أنت من ذلك ــ إذا كنت أنا أعلم جيدا أنني أصبحت فى حالة يرثى لها ، إن لم أكن قد أصبحت أسوأ منك حالا .. كان الأجدر بك أن تحاول جعلى أسير على أربع عندما كنت أرفع منك .

بوبنوف : هــذا حق .

لوقا : وحسن أيضا إن أردتم رأيى .

بوبنوف : ما مضى قد انتهى ــ والذى بقى لا يستحق مجرد الحديث عنه .. فليس لدينا اليوم رجال ذوو رفعة وقوة .. كل شيء قد انتهى.كل شيء .. ولم يبق سوى الإنسان عاريا كما ولدته أمه .

لوقا : ولذلك فالجميع سواء .. هل كنت « بارون » حقا أيها الصديق ؟

البارون : ما هذا ! من أنت أيها الجنى العجوز ؟

لوقا : لقد قابلت أميرا و « كونت » أيضا ــ ولكن هذه هى المرة الأولى التى التقى فيها « ببارون » .. و « بارون » محطم أيضا .

فاسيلى (يضحك) : هل تعلم يابارون أنك جعلتنى أخجل من نفسى . ؟

البارون : هذه هى أول مرة تبدى فيها ذكاء يافاسيلى .

لوقا : ها ها ! مجرد النظر اليكم يا أصدقائى الطيبين يوحى بنــوع الحياة التى ــــ

بوبنوف : إننا نستقيظ كل صباح على عواء .

البارون : ولكن كانت لى أيام خير من هذه لقد مرت بى أيام كنت

أستقيظ فى الصباح لأشرب القهوة فى السرير .. أى نعم ، قهوة بالقشدة .

لوقا : ومع ذلك فكلكم بشر .. نعم .. ارتد أفخر الملابس وأغلاها .. واضرب فى الأرض من أقصاها إلى أقصاها ـ ولكنك فى النهاية ستموت إنسانا كما ولدت إنسانا .. إنى كلما نظرت وجدت الناس يزدادون ذكاء ونشاطا ، ولكنهم يعيشون مع ذلك عيشة بائسه ، ويرجون ان تتحسن أحوالهم. قوم عنيدون!

البارون : من أنت أيها العجوز ؟.. من أين اتيت ؟

لوقا : من ... أنا ؟

البارون : هل أنت حاج ؟

لوقا : كلنا حجاج على هذه الأرض ... بل لقد سمعت من يزعم أن الأرض نفسها تحج فى هذا الكون ..

البارون (جادا) : قد يكون هذا صحيحا ... ولكن هل معك جواز سفر ؟

لوقا : ومن أنت ؟ .. بوليس سرى ؟

فاسيلى (مسرورا) : لقد سخر منك العجوز يا بارون ؟

بوبنوف : نعم إن هذا السيد قد رمى فأصاب .

البارون (خجلا) : ما كل هذا ؟ لقد كنت أمزح فقط أيها العجوز .. فأنا نفسى ليس لدى جواز سفر ـ ولا حتى أوراق تثبت شخصيتى ..

بوبنوف : كذاب ـــ

البارون : حسنا ـ لدى أوراق ولكنها قديمة لا فائدة منها .

لوقا : كل الأوراق مثل أوراقك ... لا فائدة منها .

فاسيلى : هيا بنا يا بارون نشرب بعض الخمر .

البارون : هيا بنا — إلى اللقاء أيها العجوز .... إنك مجرم أنت الآخر .

لوقا : كل شىء جائز أيها الصديق .

فاسيلى (على باب الصالة) : حسنا — تعال .

(يخرج فاسيلى ويسرع البارون خلفه)

لوقا : هل كان بارونا حقا ؟

بوبنوف : لا أعلم .. ولكنك أرستقراطى النشأة لا ريب — فهو حتى الآن يتصرف أحيانا بشىء كثير من العظمة . يبدو أن أرستقراطيته لم تمح تماما .

لوقا : قد تكون هذه الأرستقراطية مثل الجدرى ... يشفى المصاب به ولكنه تبقى آثاره فى وجهه .

بوبنوف : ولكنه ليس سىء الأخلاق . وإن كان يتصرف أحيانا ببعض العنجهية مثلما فعل اليوم حينما سألك عن جواز سفرك .

(يدخل أليوشكا مخمورا ـ يحمل « أكورديون» ويصفر وهو يتقدم)

أليوشكا : أيها السكان —

بوبنوف : لماذا تصيح هكذا ؟

أليوشكا : لا تؤاخذنى .. سامحنى ، إنى رجل مؤدب —

بوبنوف : هـــل تشاجرت مرة ثانية ؟

أليوشكا : وهل فى وسعى غير ذلك ؟ منـــذ دقيقة واحدة طردنى الضابط ميد ياكين من قسم البوليس وقال لى : إياك أن تدعنى أعـثر لك على أثر فى الطرقات بعد اليـوم ! » .. وأنا رجـل لى شخصيتى ولـكن رئيسى فى العمل يبصق على وجهى وكأنى قطة ضالة.. وأى رئيس هو ؟ بف إنه سكير ، نعم إن رئيسى سكير ، وأنا رجل لا أريد شيئا ، نعم أنا لا أريد شيئا .. تستطيع أن ترضينى بروبل وعشرين كوبكا! .. ولـكنى لا أريد شيئا أعطنى مليونا .. تجدنى لا أحتاج إليه .. ولـكن أن يسمح لزميلى السكير فى العمل بأن يصدر إلى الأوامر — فهذا ما لا أقبله .. لا أقبله أبدا .

(تظهر ناستيا على باب المطبخ وتهز رأسها وهى تراقب أليوشكا).

لوقا (مازحا) : لقد أوقعت نفسك فى مأزق أيها الشاب .

بوبنوف : مجرد حماقة من حماقات البشر .

أليوشكا (يمدد جسمه على الأرض) : أنا لا أهتم بشىء ولا أريد شيئا .. أنا إنسان محطم .اشرحوا لى لماذا أنا أسوأ حالا من بقية الناس. ومن هم هؤلاء الناس ؟ لقد قال لى الضابط ميد ياكين : « ابتعـد عن الشوارع وإلا قتلتك.. » ولـكنى لن ابتعد وسأخرج . سأتمدد فى وسط الشارع .. وليدوسونى إذا شاءوا ـ فأنا لا أريد شيئا..

ناستيا : ياله من مسكين ! .. لا يزال شابا صغيرا ومع ذلك فقد جعل من نفسه أضحوكة .

أليوشكا (يلاحظ ناستيا فيقوم على ركبتيه ويتحدث بالفرنسية) : يامدموازيل هل تتحدثين بالفرنسية ! (Parlez Français) برى فيكس ! إنى أدهن المدينة باللون الأحمر ..!

ناستيا (بصوت مرتفع) : فاسيليا . (تفتح فاسيليا باب الصالة على مصراعية وتدخل)

فاسيليا (موجهة الحديث إلى أليوشكا) : أنت هنا مرة أخرى ؟

أليوشكا : أسعدت صباحا .. هلا تفضلت بالدخول ؟

فاسيليا : لقد قلت لك أيها الكلب ألا ترينا وجهك ، ألم أقل لك ؟ ومع ذلك فأنت هنا مرة أخرى ؟

أليوشكا : فاسيليا كاربوفنا ـ سأعزف لك لحنا جنائزيا . هل تسمحين ؟

فاسيليا (تدفعه فى كتفه) : اخرج من هنا .

أليوشكا (يتحرك أمامها ناحية الباب) : انتظرى هـذا لا يصح ! .. سأعزف لك لحنا جنائزيا تعلمته منذ قليل .. موسيقى حديثـة .. انتظرى ـ هذا لا يصح !

فاسيليا : سأريك ما الذى لا يصح ـ سأجعل سكان الشارع كلهم يطاردونك أيها الثرثار القذر .. إنك اصغر من أن تظل تنبح بالحـديث عنى فى كل مكان .

أليوشكا : حسنا . أنا خارج (يخرج مسرعا) .

فاسيليا : لا تسمح له بوضع قدمه هنا مرة ثانية ... أسامع أنت ؟

ويننوف : لست بوابا عندك .

فاسيليا : لا يهمني من تكون ... إنك تعيش هنا على إحساني فتذكر ذلك. كم ديوني عليك ؟

بوبنوف (بهدوء) : لم أحصها .

فاسيليا : حسنا . احترس وإلا فسوف أحصيها أنا . (يفتح أليوشكا الباب)

أليوشكا (صائحا) : فاسيليا كاربوفنا ! .. أنا لا أخافك . أنا لا أخافك كما تتصورين (ينسل إلى داخل المطبخ . لوقا يضحك)

فاسيليا : من أنت ؟

لوقا : حــاج .

فاسيليا : أتريد أن تبيت الليلة فقط أم ستقيم طويلا ؟

لوقا : هذا يتوقف على —

فاسيليا : أين جواز سفرك ؟

لوقا : ستزينه .

فاسيليا : أريد رؤيته الآن .

لوقا : سأحضره لك - سأحضره إلى باب مسكنك .

فاسيليا : هه، حاج ! لا يبدو عليك أنك حاج .. كان الأجدر بك أن تسمي نفسك متشردا . فهذا أقرب إلى الواقع .

لوقا (متنهدا) : إن قلبك خال من الطيبة أيتها المرأة .

(تتجه فاسيليا ناحية حجرة فاسيلي . يطل أليوشكا برأسه من المطبخ)

أليوشكا (هامسا) : هل ذهبت ؟

فاسيليا (تعود إليه) : ألا تزال هنا ؟

(يختنق أليوشكا وهو يصفر .. لوقا وناستيا يضحكان) .

بوبنوف (لفاسيليا) : لقد خرج .

فاسيليا من هو ؟ عمن تتحدث ؟

بوبنوف فاسيلى .

فاسيليا وهل سألتك عنه ؟

بوبنوف : إنى أراك تبحثين فى كل مكان .

فاسيليا : إنى أنظر هل كل شىء فى مكانه أو لا ـ فاهم؟هل فهمت الآن؟ لماذا لم تكنسوا الأرض حتى هذه الساعة ؟كم مرة أمرتكم بأن تحافظوا على نظافة المكان ؟

بوبنوف : إن الدور على الممثل .

فاسيليا : لا يهمنى ، ولكن إذا جاء مفتش الصحة وغرمنى فسوف أطردكم جميعا أيها الملاعين .

بوبنوف (بهدوء) : وكيف ستعيشين إذن ؟

فاسيليا : لا أريد أن أرى بعد الآن ذرة تراب واحدة .. (تسير ناحية المطبخ وتقف أمام ناستيا) ماذا تفعلين بوجهك المتورم هنا ؟ .. لاتقفى هكذا مثل جذع الشجرة ، اكنسى الأرض ، هل رأيت ناتاشا ، هل جاءت إلى هنا ؟

ناستيا : لا أدرى ، لم أرها .

فاسيليا : بوبنوف .. هل كانت أختى هنا ؟

بنوف (مشيرا إلى لوقا) : لقد جاءت به ..

فاسيليا : والآخر ، هل كان هنا ؟

بوبنوف : فاسيلى ؟ نعم كان موجودا ، وأختك قد تحدثت إلى كاستتش —

فاسيليا : لم أسألك عمن تحدثت إليهم . قذارة فى كل مكان ايها الخنازير ! يجب ان تنظفوا هذا المكان . . هل تفهمون ؟ (تخرج مسرعة) .

بوبنوف : ياالهى ! يالها من امرأة شريرة !

لوقا : امرأة مشتعلة .

ناستيا : كل إنسان يحيا حياتها ويعاشر زوجا مثل زوجها يصبح شريرا.

بوبنوف : إنها لا تعاشره كثيرا على أى حال !

لوقا : هل تتصرف هكذا دائما ؟

بوبنوف : دائما . . لقد حضرت لترى عشيقها ، ولكنه غير موجود كما ترى .

لوقا : فتألمت. آه فهمت . هيه ! أناس مختلفون يأمرون غيرهم فى هذه الدنيا ، وكل جماعة تحاول أن تنسب إلى غيرها جميع ألوان العيوب ـ ومع ذلك فلا يوجد نظام فى الحياة .. ولا نظافة .

بوبنوف : كل الناس يريدون النظام ـ ولكن عقولهم ذاتها غير منظمة ـ على كل حال يجب أن يقوم واحد بكنس الأرض . . . ناستيا عليك أنت بهذا .

ناستيا : طبعا ومن غيرى ! . . أنا لست خادمتك هنا . . (بعد لحظة صمت) إنى سأسكر اليوم .. سأسكر غاية السكر .

بوبنوف : هذه فكرة طيبة .

لوقا : لماذا تريدين أن تسكرى ياصغيرتى ؟ منذ لحظة كنت تبكين — والآن تقولين أنك ستسكرين .

ناستيا (بشىء من التحدى): وحينما أسكر سأبكى مرة أخرى ـ هذا كل ما فى الأمر .

بوبنوف : كل مافى الأمر — ما أبسط ذلك !

لوقا : ولكن خبرينى ماسبب هذا ؟ فحتى الدمل الصغير لا يظهر بدون سبب . (ناستيا تهز رأسها دون أن تجيب) حسنا إيه أيها البشر! إلى أين أنتم مسيرون ؟ حسنا ، سأكنس لكم المكان إذن .. أين مكنستكم ؟

بوبنوف : خلف الباب فى الردهة الخارجية (لوقا يذهب إلى الردهة)ناستيا !

ناستيا : مـاذا تريد ؟

بوبنوف : لماذا ثارت فاسيليا على أليوشكا ؟

ناستيا : لأنه قال للجميع إن فاسيلى قد ملها ويريد هجرها من أجل ناتاشا ... إنى سأنتقل من هذا المكان إلى مسكن آخر .

بوبنوف : لماذا ؟ وإلى أين ؟

ناستيا : لقد مللت .. لا أحد يحتاج إلى هنا .

بوبنوف (بهدوء) : لا هنا ، ولا فى أى مكان .. وكل الناس فى الواقع لا يوجد من يحتاج إليهم .

(تهز ناستيا رأسها وتنهض خارجة إلى الردهة ـ يدخل مدفديف

الشرطى وخلفه لوقا حاملا مكنسة .)

مدفديف : لا أظن أنى أعرفك !

لوقا : وهـــل تعرف كل الناس ؟

مدفديف : المفروض أنى أعرف كل شخص فى منطقتى . ولكنى لا أعرفك.

لوقا : وذلك لأن الكرة الأرضية لم يمكنها ضغط نفسها داخل منطقتك ياعم . لقد بقى جزء صغـــير منها خارج منطقتك ! (يذهب إلى المطبخ .)

مدفديف (سائرا إلى بوبنوف) : إنه على حق .. فمنطقتى صغيرة ولو أنها أسوأ من أكبر منطقة . . منذ قليل وقبل أن انتهى من الداورية أخـــذت الاسكافى أليوشكا إلى القسم ـ فقد استلقى فى وسط الشارع وأخذ يعزف على « الأكورديون » وهو يصيح : « أنا لا أريد شيئا . . لا اريد شيئا . » وكان من المحتمل أن تقضى عليه الخيل وغيرها من وسائل النقل، فقد كان الشارع مزدحما بها إنه متوحش .. فقدته إلى القسم لأنه مغرم بالخروج على النظام.

بوبنوف : هل ستأتى للعب الورق الليلة ؟

مدفديف : أنا . . نعم . . كيف حال فاسيلى ؟

بوبنوف : بخير . . كما هـــو .

مدفديف : إذن فهو لايزال ماضيا فى سبيله .

بوبنوف : ولم لا ؟ . . إنه قادر على هذا .

مدفديف (بشك) : قادر ! (يدخل لوقا حاملا مكنسة ويخترق الحجرة متجها ـ

إلى الردهة) نعم .. لقـــد انتشرت شائعات عن فاسيلى هنا ..
هل سمعتها ؟

بوبنوف : إنى أسمع كل أنواع الشائعات .

مدفديف : عنه وعن فاسيليا ـ هل لاحظت شيئا ؟

بوبنوف : لاحظت ماذا ؟

مدفديف : على العموم ـ أم يحتمل أنك تعلم ولكنك تكذب على .. فالجميع يعلمون .. (بعنف) يجب على المرء ألا يكذب مطلقا ياصديق .

بوبنوف : ولمـــاذا أكذب ؟

مدفديف : إذن فنحن متفاهمان .. أوه ـ ذلك القـذر ! .. إنهم يقولون إن هناك علاقة بينه وبين فاسيليا ـ ما شأنى أنا بذلك ؟ أنا لست أباها ـ ولكنى عمها فقط ـ فلماذا يسخرون منى ؟
(تدخل كفاشنيا) الله وحده يعلم ماذا يفعل النـاس ـ إنهم يسخرون من كل شىء ـ آه ! هذا أنت !

كفاشنيا : نعم أنا ياسترتى الرسمية الثمينة ! بوبنوف، لقد عاد إلى إغرائى فى السوق على الزواج منـــه .

بوبنوف : ولم لا ؟ تزوجيه فإن لديه بعض المال وهو لا يزال يصلح للقيام بدور العاشق .

مدفديف : أنا .. هو ! هو !

كفاشنيا : هكـذا ! ؟ لا تلمس نقطة الضعف فى أيهـا الشرطى .. فقد جربت ذلك من قبـل يارجلي العزيز .. إن الزواج مثـل القفز من جحر من

من الثلج فى وسط الشتاء .. تفعله مــــرة ــ وتظل تذكره بقية حياتك .

مدفديف : مهلا ـ فليس جميع الأزواج سواء .

كفاشنيا : ولـكنى أنا لم أتغير ـ حينما مات زوجى العزيز ـ أجحمه الله ـ سررت كل السرور من بقائى وحدى طول النهار، ولم أستطع أن أصدق حظى السعيد .

مدفديف : مادام زوجـك كان يضربك بدون سبب معقول ـ كان عليك أن تشكيه للبوليس .

كفاشنيا : لقد ظللت أشكوه إلى الله ثمانى سنوات دون فائدة .

مدفديف : إن ضرب الزوجة ممنوع الآن . فقــد صدرت قوانين وأنظمة جديدة لـكل شيء ... لا يستطيع إنسان أن يضرب آخر دون سبب معقول .. وإذا حدث واعتديت على إنسان فينبغى أن يكون ذلك للمحافظة على النظام .

(يدخل لوقا يقود آنا)

لوقا : ها نحن قد وصلنا .. ألا تعلمين أنه لاينبغى أن تسير وحدك وأنت بهذا التكوين الضعيف ؟ .. أين فراشك ؟

آنـا (تشير إلى سريرها): شكرا لك أيها الجد !

كفاشنيا : هاهى ذى امرأة متزوجة . انظر اليها .

لوقا : إن هذه المرأة الصغيرة فى غاية الضعف .. لقــد كانت تسير فى الردهة متشبثة بالجدران وهى تئن . لماذا تتركونها تسير وحدها ؟

كفاشنيا : هذا إهمال منا ياسيدى ، أرجوك أن تسامحنا .. أما وصيفتها فلا بد أنها خرجت للنزهة .

لوقا : إنك تهزئين — إنى لأعجب لماذا يسخر الناس من بعضهم ؟ إن أى شخص مهما ساءت حاله يستحق شيئاً من الاحترام .

مدفديف : نعم ينبغى أن نهتم به .. لأنه إذا مات فستتعقد الأمور .. ينبغى أن نهتم به .

لوقا : لقد نطقت صوابا أيها الشاويش .

مدفديف : نعم .. ولو أنى لست شاويشاً بعد —

لوقا : لست شاويشاً بعد ! إنك تبدو كبطل من الابطال .

(ترتفع ضجة ووقع أقدام فى الردهة ، وتسمع أصوات مختلفة وصيحات)

مدفديف : لابد أنها مشاجرة ؟

بوبنوف : يبدو أن الأمر كذلك .

كفاشنيا : سأرى ماهنالك .

مدفديف : يجب أن أذهب أنا كذلك فالواجب هو الواجب ؟ . إنى أتمنى حينما يبدأ الناس فى الشجار أن يتركهم من حولهم وشأنهم، فهم سيكفون عن القتال عندما يتعبون ..يجب أن نتركهم ليصرعوا أنفسهم دون تدخل لأنهم يستحقون ذلك .. عندئذ سيفكرون أكثر من مرة قبل أن يتشاجروا ثانية، لأنهم سيذكرون إصاباتهم فى المرة السابقة .

بوبنوف (ينهض من سريره) : يجب أن تقول ذلك لقومندان البوليس .

(يفتح الباب على مصراعيه بعنف ويظهر كستيلوف على العتبه)

كستليوف (صائحـا) : مدفديف .. أسرع فان فاسيليا تقتل ناتاشا . أسرع !

(يسرع مدفديف وبوبنوف وكفاشتيا إلى الردهة . لوقا ينظراليهم هـازا رأسه)

آنـا . يارب ! .. مسكينة ناتاشا الصغيرة .

لوقا . من الذى يقتتل فى الخارج ؟

آنـا . صاحبة المنزل مع شقيقتها .

لوقا (يتجه ناحية آنـا) : ولماذا تتشاجران ؟

آنـا . وماذا يمكنهما أن تفعلان غيرهذا ؟ ـ إنهما تأكلان جيدا وصحتهما جيدة ـ

لوقا . ما اسمك ؟

آنـا . آنـا .. هل تعلم أنى حينما أنظر اليك أتذكر والدى فقد كان مثلك طيباً ورقيقا .

لوقا . نعم ، لقـد عصرتنى الأيام ولهـذا أبدوا رقيقـا . (يضحك ضحكة ضعيفة أشبه بالسعال) .

« ستار »

الفصل الثـــانى

[نفس القبو .. ساتن والبارون وجويتر والتترى جالسون على السرير المجاور للفرن يلعبون الورق ، بينما كلستش ذ الممثل يرقبانهم .

بوبنوف جالسا على فراشه يلاعب مدفديف الشطرنج، بينما يجلس لوقا على مقعد صغير بجوار فراش آنـا .

الوقت مساء والمكان مضاء بمصباحين أحدهما معلق فى الحائط فوق لاعبي الورق، والآخر فوق فراش بوبنوف .]

التترى : سألعب دوراً آخر فقط .

بوبنوف : غن ياجويتر (منشداً) الشمس تشرق ثم تغرب —

جويتر (مكملا) : وزنزانتى مظلمه لاتعرف الضوء ——

التترى (لساتن) : اخلط الورق بعناية ! فأنا أعرفك جيداً .

بوبنوف وجويتر (ينشدان معا) : والحراس يراقبون نافذتى الحديدية.. إيه .. الحراس يراقبون نافذتى طوال الليل والنهار .

آنـا : مشاجرات وألفاظ نابية . هذا هو كل ماعرفته طوال حياتى.. ولا شيء غير هذا ..

لوقا : انسى كل هذا ياسيدتى الطيبة ولا تضايقى نفسك .

مدفديف : إلى أين أنت ذاهب بهذا العسكرى ؟ هل أنت أعمى ؟

بوبنوف : آه ! . آه !

التترى (مهدداً ساتن بقبضة يده) : لماذا تحاول إخفاء هذه الورقة؟.. إنى أراها .. أوه !

جوبتر : لاتضايق نفسك ياحسن فسوف يستولون على كل مامعنا بطريقة أو بأخرى ! غن يابوبنوف .

آنا : أنا لا أتذكر يوما لم أشعر فيه بالجوع .. كان على دائما أن أحصى اللقيمات — وظللت طوال حياتى أرتعد وأضطرب لمجرد احتمال أن أكون أكلت أكثر من نصيبي .. لم ألبس فى حياتى كلها سوى أسمال بالية .. حياتى التعسة البائسة : ماذا فعلت حتى أستحق كل هذا ؟

لوقا : إنك محطمة يابنيتى المسكينة . هونى عليك .

الممثل (لجوبتر) : ارم الجوكر .. الجوكر ياغبي .

البارون : ونحن معنا الشايب .

كلستش : إنهم يغلبونك دائما .

ساتن : إنها عاداتنا .

مدفديف : شايب !

بوبنوف : ومعى آخر .. حسنا .

آنا : إننى أموت الآن .

كلستش : أوه .. أوه .. كف عن اللعب ياحسن ، خذ نقوداً منى وكف عن اللعب.

الممثل : إنه لايستطيع التصرف دون نصحك ، أليس كذلك ؟

البارون : احترس ياكلستش ، وإلا قذفت بك إلى الجحيم !

التترى : وزع الورق مرة أخرى. جئت أصطاد ولكنى وقعت فى الشرك!

(يذهب كلستش إلى بوبنوف هازاً رأسه)

آنا : إنى أظل أفكر إذا كان الله سيعذبنى فى الآخرة أيضا ؟ .. حتى هناك يارب !

لوقا : لن يعذبك .. لا تخافى لن يحدث لك شىء ، فستجدين هناك قسطا كافيا من الراحة .. فقط اصبرى وتحملى قليلا .. فكل إنسان يستطيع أن يتحمل حياته بطريقته الخاصه .

(ينهض ويسير مسرعا نحو المطبخ)

بوبنوف (يغنى) : أنتم أيها الحراس تستطيعون مراقبة نافذتى عن قرب.

جويتر (يغنى مكملا) : فلن أحاول الهرب .

بوبنوف وجويتر (معا) : فأنا وإن كنت أحب أن أنال حريتى .. إيه، ولكنى لا أقوى على تحطيم أغلالى .

التترى (صائحا) : آه .. إنى أراك لقد أخفيت ورقة فى كمك .

البارون (مضطربا) : وأين تريدنى أن أخفيها .. تحت أنفك ؟

الممثل : أنت مخطىء أيها التترى ـ فليس هنا من يحاول الغش.. أبدا.

التترى : ياوغد .. لقد رأيتها .. ولن أستمر فى اللعب .

ساتن (يجمع الورق) : إبتعد عنا ايها التترى .. ألم تكن تعلم أننا أوغاد ؟ فلماذا اشتركت معنا فى اللعب ؟

البارون : لقد خسرت ربع روبل ولكنك أزعجتنا بما يساوى ثلاثة

روبلات .. آه .

التترى (متحمسا) : يجب أن تلعبوا بأمانة .

ساتن : لماذا ؟

التترى : ماذا تعنى ؟

ساتن : لا أعنى إلا ماقلته .. لماذا يجب أن نلعب بأمانة ؟

التترى : ألا تعلم لماذا ؟

ساتن : أنا .. لا .. هل تعلم أنت ؟

(يبصق التترى باحتقار شديد بينما يضحك الآخرون منه .)

جويتر (مازحا) : يالك من إنسان مضحك أيها التترى .. ألا تفهم إنهم لو بدأوا يعيشون بشرف وأمانه فسيموتون من الجوع بعد ثلاثة أيام .

التترى : ليس هذا من شأنى .. يجب على الناس أن يكونوا أمناء .

جويتر : ها هو ذا يعود ثانية .. مثل الببغاء .. يحسن بنا أن نذهب لتناول الشاى يابوبنوف ! (مغنيا) إيه أيتها الأغلال .. أيتها الأغلال الثقيلة التى تقيدنى —

بوبنوف (يغنى) : أنت فى الواقع حارسى الحديدى .

جويتر : هيا بنا ياتترى (يخرج وقد عاد إلى الغناء) أنا أعلم أنى لن أستطيع تحطيمك أبداً أيتها الأغلال .. إيه .

(يلوح التترى بقبضته للبارون ثم يتبع صديقه .)

ساتن (للبارون) : ياصاحب السعادة لقد كنت الليلة غاية فى الحمق :

إنك متعلم ومع ذلك لا تعرف كيف تتقن الغش فى لعب الورق.

البارون (يتمطى) : الشيطان وحده يعلم لماذا فشلت .

الممثل : لأنك تنقصك الموهبة والثقة بالنفس . . فبدونها لا يستطيع الإنسان فعل أى شىء .

مدفديف : بقى لدى حصان واحد .. وأنت معك اثنان .. هيه !

بوبنوف : إن واحدا يكفى إذا كان ماهرا وذكيا .. دورك .

كلستش : لقد خسرت يامدفديف .

مدفديف : لا تتدخل فيما لا يعنيك .. هل تفهم ؟ إمسك لسانك .

ساتن : صافى المكسب ثلاثة وخمسون كوبك .

الممثل : ثلاثة من نصيبي .. ومع ذلك فماذا سأفعل بها ؟

(يدخل لوقا من المطبخ)

لوقا . حسنا ـ لقد سلبتم التترى كل نقوده .. وستذهبون الآن لشرب بعض الفودكا على ما أظن .

البارون . تعال معنا .

ساتن . أحب أن أرى أى نوع من الرجال أنت حينما تسكر .

لوقا . لا أكون خيرا منى وأنا فى وعى .

الممثل . تعال أيها الجد أنشد لك بعض القصائد .

لوقا . ماذا تعنى ؟

الممثل . قصائد .. ألا تعرف القصائد؟

لوقا : آه ، قصائد .. وما حاجتى إلى الشعر ؟

الممثل : إنه يضحك الإنسان .. وأحيانا يحزنه .

ساتن : هل ستأتى أيها الراوية ؟(يخرج ساتن والبارون)

الممثل : لحظة واحدة .. سألحق بكما .. هاك أيها الجد بعض الشعر .. لقد نسيت كيف يبدأ .. لقد نسيت (يحك جبهته) .

بوبنوف : هاك ! .. وداعا الملك . « كش »...

مدفديف : ياللشيطان لقد أخطأت فى اللعبة الماضية .

الممثل : لقد كانت لدى ذاكرة قويه فى الماضى قبل أن يتسمم جسمى بالكحول أيها العجوز .. أما الآن فقد انتهيت .. انتهيت .. لقد كنت ألقى هذه المقطوعة إلقاء رائعاً حتى أن الجمهور كان يصفق تصفيقا يكاد يهدم المسرح .. أنت لاتعرف التصفيق . إنه مثل الفودكا ياصديقى .. كنت أدخل المسرح ثم أقف هكذا (يتخذ وضعا تمثيليا) نعم كنت أقف هكذا (فترة صمت طويلة) لا أستطيع ان اتذكر شيئا ـ ولا كلمة واحدة ! مع أنها أَحَبُّ قصيدة إلى نفسى ـ هذا سىء أيها العجوز . أليس كذلك ؟

لوقا : بالطبع .. فلا يمكن أن يكون نسيانك لما تحبه شيئا جميلا .. فكل أرواحنا مركزة فيما نحبه .

الممثل : لقد أغرقت روحى فى الخمر أيها العجوز .. لقد ضعت .. ولماذا؟ لأنه لاثقة لى فى نفسى .. لقد انتهيت .

لوقا : انتهيت ؟ لماذا ؟ .. يجب أن تعالج نفسك .. لقد سمعت أنهم

يعالجون مدمنى الخمر هذه الأيام، ويعالجونهم مجانا كذلك.. فهناك مستشفى خاص بمدمنى الخمر يعالجون فيه دون مقابل.. فلقد اهتدوا أخيرا إلى أن السكير إنسان كبقية الناس - بل إنهم يسرون حينما يرونه راغبا فى الشفاء.. إنها فرصة أمامك فلا تتركها. اذهب إلى هناك فوراً .

الممثل (مفكرا) . أذهب إلى أين ؟ .. أين هذا المستشفى ؟

لوقا : إنه فى إحدى المدن .. ترى ما اسمها ؟ إنها تسمى .. حسنا سأعطيك اسمها فيما بعد ! وفى هذه الأثناء عليك أن تعد نفسك للعلاج .. ابتعد عن الفودكا .. تماسك واحتمل ! وبعد ذلك ستشفى وتبدأ حياتك من جديد .. نعم من جديد . أليس هذا بديعا ياصديقى؟ .. حسناً، استقر على رأى وبسرعة!

الممثل (مبتسما): من جديد .. من البداية .. ما أروع ذلك.. نعم، نعم مرة ثانية (يضحك) طبعا فى إمكانى أن أفعل ذلك بكل تأكيد .. ألا ترى أنت أنى أستطيع ؟

لوقا : نعم بلا شك - ففى إمكان الإنسان أن يفعل أى شىء - فقط إذا أراد وصمم على تنفيذه .

الممثل (كمن استيقظ فجأة): أنت إنسان غريب .. إلى اللقاء (يصفر) إلى اللقاء أيها العجوز . (يخرج)

آنا : أيها الجد !

لوقا : ماذا تريدين يا عزيزتى ؟

آنا : تحدث إلىّ .

لوقا (يقترب منها) : حسنا لنتحدث .

(ينظر كلستش حوله ويسير متجها إلى زوجته ويحدق فيها ، ثم يحرك يديه كمن يريد أن يقول شيئا) ماذا دهاك يا صديقى ؟

كلستش (فى صوت خافت) : لا شىء . (يسـير ببطء نحو الردهة ويتوقف لحظات لدى الباب ثم يخرج)

لوقا (بعد أن تتبع كلستش بعينيه) : إن زوجك يجد الأمر صعبا لا يستطيع احتماله .

آنا : إنى أفكر فى أشياء أخرى غيره

لوقا : هل كان يضربك ؟

آنا : وبعد كل هـذا لم يكن يضربنى ! إنه هو الذى أمرضنى على ما أظن .

بوبنوف : لقد كان لزوجتى عشيق .. وكان المجرم بارعا فى لعبة الشطرنج

مدفديف : هيه ـ هـم .

آنا : تحدث إلىّ أيها الجد العزيز .. إنى أشعر بألم .

لوقا : لا بأس ـ إنه ألم ما قبـل الموت ياعزيزتى .. لا بأس ـ لا تفقدى الأمل ـ ستموتين وعندها ستجدين الأمن والراحة.. فلن يكون فى العالم الآخر شىء تخافينه .. لا شىء على الإطلاق. هناك ستجدين السلام والهدوء .. ولن تجدى ما تفعلينه سوى النوم والراحة .. فالموت يهدّىء كل شىء . إنه رفيق بنا نحن

البشر . حينما تموتين ستحصلين على الراحة .. هكذا يقول الناس وهو قول صحيح يا عزيزتى وإلا فأين يمكن للإنسان أن يجد الراحة فى هذا العالم ؟

(يدخل فاسيلى مخموراً بعض الشيء ويظهر عليه الإضطراب والعبوس ويجلس على سرير خشبي قريب من البـــاب ويبقى ساكنا بلا حركة)

آنا : ولكن هل كتب علينا أن نقاسى ونتعذب هناك أيضا ؟

لوقا : لن يكون هناك شيء من هذا ، لا شيء .. صدقيني .. لن تجدى هناك غير السلام والهدوء .. سوف يطلبونك للمثول أمام الله قائلين : « يارب ـ هذه عبدتك المطيعة آنا ـ »

مدفديف (بحدة) : ومن أين لك علم ما سيقال هناك ؟

(ينتبه فاسيلى على صوت مدفديف فيرفع رأسه وينصت .)

لوقا : لا بد أنى أعلم ياسيدى الشاويش ـ

مدفديف (باستبسلام) : هـــذا شأنك على كل حال ، ولو أنى لم أصبح شاويشا بعد .

بوبنوف : لقدضاع فيلك .

مدفديف : فليذهب إلى الجحيم .

لوقا : حينئذ ينظر الله إليك برفق وحنان ويقول : « أنا أعرف آنا هذه .. حسنا ـ خذوها إلى الجنةوامنحوها الراحة والهدوء ـ فأنا أعلم أنها قاست حياة مريرة مضنية ، وأنها متعبـــة . .

امنحوها الراحة والهدوء . . »

آنا (تتنهد) : آه يا جدى العزيز ـ لو كان الأمر حقا كما تقول !
لو كان فى إمكانى أن أستريح ولا أعود أشعر بشىء.

لوقا : لن تشعرى بشىء .. أنا أقول ذلك ويجب أن تصدقينى . يجب
أن تموتى فرحة مستبشرة دون أن يســاورك أدنى خوف ،
فالموت رفيق بنا رفق الأم بأطفالها الصغار .

آنا : ولـكن أليس من الممكن أن تتحسن صحتى ؟

لوقا (بشىء من السخرية) : ولماذا ؟ هل تريدين آلاما أخرى ؟

انا : أريد أن أعيش مدة أخرى يسيرة . . مدة يسيرة فحسب ،
فإذا لم يكن هناك آلام فى العالم الآخر فإنى أستطيع أن
أتحمل الآلام هنا ـ نعم أستطيع .

لوقا : لن يكون هناك شىء سوى —

فاسيلى (يقوم) : هذا حق . ومن يعلم ؟ فقد يكون باطلا .

آنا (بصوت مذعور) : آه يارب .

لوقا : مرحبا بك أيها الأنيق .

مدفديف : من الذى يصيح ؟

فاسيلى : (يتجه اليه) أنا .. لماذا ؟ .

مدفديف : ليس هناك أى داع لصياحك . هذا هو السبب .. ويجب على
كل فرد أن يتصرف فى هدوء .

فاسيلى : أيها الغبى .. هل تعتبر نفسك عماً حقيقة . . هاها ! .

لوقا (مخاطبا فاسيلى فى صوت منخفض) : أنت هناك .. لا تصح هكذا ، فهنا امرأة تموت أكاد ألمح تراب القبر يعلو شفتيها.. دعوها .

فاسيلى : يسعدنى أن أطيعك أيها الجد ، فأنت شخص لطيف .. بارع فى قص أكاذيب وأساطير طريفة ، وهذا حسن فى رأيى .. استمر فى كذبك فليس فى هذا العالم الملعون سوى القليل جدا من السرور .

بوبنوف : هل هى تموت حقا ؟

لوقا : لا يبدو عليها أنها تمزح .

بوبنوف : حسنا . فسنرتاح من سعالها الذى ظل يزعجنا طويلا .. أعطنى ورقتين .

مدفديف : إن حظك عال اليوم !

فاسيلى : : أبراهام .

مدفديف : لا ترفع الكلفة بيننا وتنادينى بهذا الاسم .

فاسيلى : حسنا . أبراشكا .. هل ناتاشا مريضة ؟

مدفديف : ليس هذا من شأنك .

فاسيلى : تكلم ـ خبرنى هل ضربتها فاسيليا بقسوة ؟

مدفديف : ولا هذا أيضا من شأنك . إنها مسألة عائلية . ومن أنت على أية حال ؟

فاسيلى : لايهم من أكون ولكنى أستطيع إذا أردت أن اجعلك لا ترى

ناتاشا بعد اليوم .

مدفديف (يكف عن اللعب) : ما هـذا ؟ هل تعلم عمن تتحـدث .. إن ابنه أخي لا يمكن أن تصبح ـــ يا لص .

فاسيلي : قد أكون لصا ، ولـكنك لم تقبض على قط .

مدفديف : انتظر وسوف أقبض عليك .. وقريبا.

فاسيلي : إذا قبضت عليّ فسيكون فى ذلك خراب أسرتك كلها هل..تظن أنى سأظل صامتا أمام المحقق ؟ . إنك كمن ينتظر حسـنة من الذئب .. من الذى حرضنى على الســـرقة ؟ ومن الذى عرفنى بالأماكن ؟ كوستليوف وزوجته .. من الذى كان يأخـذ منى ما أسرقه ؟ . ميشكا كوستليوف وزوجته .

مدفديف : كذاب .. لن يصدقك أحد .

فاسيلي : سوف يصدقوننى .. فهذه هى الحقيقة ، وسوف أقحمك أنت أيضا فى الموضوع .. ها ها .. ســـوف أدمركم جميعا أيها المجرمون .. سوف ترى .

مدفديف (مأخوذا): إنك تـكذب . هذا كذب محض .. ومتى تسببت فى أذاك ؟ . إنك كلب مسعور ينبح .

فاسيلي : ومتى تسببت فى خير لى ؟ .

لوقا : أَمَا ـ

مدفديف (مخاطبا لوقا) : علام تنعق أيها العجوز .. ليـــس فى هذا ما يخصك .. إنها مسأله عائلية .

بوبنوف (مخاطبا لوقا) : اتركهم وشـأنهم . إنهم لا يعدون المشاقق لك ولى .

لوقا (بخبث) : أنا أعلم ذلك .. كل ما أقوله هو إن الإنسان متىلم يحسن لأخيه فقد أساء اليه .

مدفديف (دون أن يفهم ما يعنيه لوقا) : هذا أحسن .. نحن هنا يعرف بعضنا بعضا .. فمن انت ؟ (يبصق كقطة هائجة ثم ينصرف مسرعا .)

لوقا : لقد فقد السيد أعصابه .. ها ها .. لقد أوقعتم أنفسكم أيها الأصدقاء فى شتى أنواع المشاكل .

فاسيلى : لقد ذهب يشكو إلى فاسيليا .

بوبنوف : إنك تقوم بدور الأبله يا فاسيلى .. فيم تباهيك بالقوة والشجاعة .. إن الشجاعة لها قيمتها فى الغابات حينما تصطاد الخرتيت .. أما هنا فليس لها قيمة تذكر ، وسوف يشنقونك قريبا .

فاسيلى : أوه .. لا . فأنا من قوم لا يستسلمون بدون قتال ، أما إذا حدث قتال فأنا على اتم الاستعداد له .

لوقا : لماذا لا ترحل من هنا أيها الشاب ؟

فاسيلى : إلى أين هل تستطيع أن ترشدنى ؟

لوقا : اذهب إلى سيبريا ؟.

فاسيلى : سيبريا ؟.. ولكنى سأنتظر حتى أرسل إلى هناك على

نفقة الحكومة .

لوقا : اسمع كلامى واذهب إلى سيبريا ، فهناك ستتفتح أمامك آفاق جديدة ، لأنهم هناك فى حاجة إلى أمثالك من الرجال .

فاسيلى : ليست لدى حرية الاختيار . لقد رسمت لى حياتى وانتهى الأمر ، فأبى قضى حياته كلها فى السجون ، وعلىّ أن أكون مثله . ولم أكن إلا طفلا صغيرا عندما كان الجميع ينادوننى يالص يابن اللص .

لوقا : ومع ذلك فسيبريا مكان رائع .. أرض طيبة . وهى أصلح مكان للرجل القوى الذى يحمل فوق أكتافه رأسا ذكيا .

فاسيلى : لماذا تكذب أيها العجوز ؟

لوقا : ماذا تقول ؟

فاسيلى : لقد أصابه الصمم فجأة . إنى أقول لماذا تكذب ؟

لوقا : ومتى رأيتنى أكذب ؟

فاسيلى : دائما فأنت تردد فى كل وقت « إنه رائع هنا . وبديع هناك . » بينما تعلم جيدا أنك تكذب .. لماذا ؟

لوقا : حسنا . اسمع كلامى ، ثم اذهب لتتحقق منه بنفسك . وسوف تشكرنى على نصحى إياك . أى خير فى إصرارك على الإقامة هنا ؟ وعلى كل حال فما قيمة الحقيقة بالنسبة إليك ؟ إن هذه الحقيقة قد تهوى على رأسك كالفأس الحاد .

فاسيلى : أنا لا أبالى . إنى أرحب بضربة الفأس .

لوقا : يالك من إنسان غريب .. ما الذى يدفعك إلى قتل نفسك؟

بوبنوف : أنا لا أفهم فيم كل هذا الحديث السخيف. أى حقيقة تلك التى تريدها يا فاسيلى ؟ ولماذا ؟ إنك تعلم حقيقة نفسك وكل إنسان يعلمها.

فاسيلى : اسكت يابوبنوف لا تنعق . أنا أريده هو أن يخبرنى.. اسمع أيها العجوز ، هل الله موجود ؟

لوقا (يبتسم ولا يجيب .)

بوبنوف : ما أشبه الناس فى الحياة بنشارة الخشب الطافية على النهر .. لقد تم بناء المنزل أما النشارة فتلقى فى النهر لتهتم بنفسها وتلاقى مصيرها .

فاسيلى : وبعد ، هل الله موجود ؟ أجبنى .

لوقا (فى صوت منخفض). إذا كنت تؤمن به فهو موجود ، وإذا لم تكن تؤمن به فهو غير موجود .. وكذلك كل ما تؤمن به فهو موجود .

(فاسيلى حائرا يحدق فى وجه لوقا دون أن يتكلم .)

بوبنوف : سأذهب لتناول الشاى ، تعالا معى .

لوقا : لماذا تحدق فى هكذا ؟

فاسيلى : هذا حسن . . انتظر . . أنت تقول —

بوبنوف : سأذهب وحدى إذن (يسير فى اتجاه الباب بينما تدخل فاسيليا)

باسيلى : إذن فأنت تريد أن تقول —

فاسيليا (تخاطب بوبنوف) : هل ناستيا موجودة؟

بوبنوف. لا . (تخرج)

فاسيلى . أوه .. هذا أنت .

فاسيليا (تتجه نحو آنا) : ألا تزالين حيه ؟

لوقا : لا تزعجيها .

فاسيليا : ألا تزال هنا ؟

لوقا : سأرحل إذا كان هذا يرضيك .

فاسيليا (تسير ناحية حجرة فاسيلى) : أريد أن أحدثك فى بعض المسائل يافاسيلى (تدخل حجرة فاسيلى بينما يسير لوقا إلى باب الصالة ويفتحه ثم يغلقه بصوت مسموع ، ويعود بحذر ويتسلق فراشا ليصل إلى أعلى الفرن) تعال يافاسيا .

فاسيلى : لا أريد .

فاسيليا (تخرج) : ولماذا لاتريد ؟ .. من الذى أغضبك منى ؟

فاسيلى . لقد مللت .. مللت كل هذه الأشياء .

فاسيليا : مللتنى أيضا ؟

فاسيلى : نعم أنت أيضا (تثبت منديلها الحريرى على كتفيها وتضغط بيديها على صدرها ثم تسير إلى فراش آنا وتنظر فى هدوء خلف الستائر ، ثم تعود إلى فاسيلى) فإذا كان لديك ماتريدين قوله —

فاسيليا : وهل بقى شىء يقال ؟ .. ليس فى إمكان المرء أن يرغم

إنسانا على حبه ، وليس من طبيعتى أن أتسول الإحسان من الناس .. إنى أشكرك على مصارحتى بالحقيقة .

فاسيلى : أى حقيقة ؟

فاسيليا : أنك مللتنى ، أم أن ذلك غير صحيح ؟ (يحدق فاسيلى فيها دون أن يتكلم .. تقترب هى منه) لماذا تحدق فى هكذا ؟ ألا تعرفنى ؟

فاسيلى (يتنهد) : ما أجمل منظرك (تضع فاسيليا يدها حول عنقه ولكنه يتخلص منها بهزة من كتفه) ولكنك مع ذلك لم تنجحى أبدا فى الوصول إلى قلبى .. لقد عاشرتك بالطريقة التى تعرفينها ولكننى لم أهتم بك أبداً اهتماما حقيقيا —

فاسيليا (بصوت خافت) : لقد فهمت ـ وبعد ؟

فاسيلى : وبعد ـ لم يبق شىء نقوله ـ لا شىء على الاطلاق،فقط اتركينى

فاسيليا : هل وقعت فى غرام جديد ؟

فاسيلى : ليس هذا من شأنك .. وإذا كنت قد أحببت حقا فلن أطلب منك أن تقومى بدور الوسيط .

فاسيليا (متخابثة): ياخسارة .. قد يكون فى إمكانى أن أصلك بمحبوبتك.

فاسيلى (بشك) : من تعنين ؟

فاسيليا :أنت أدرى ـ لماذا تنكر ؟..اسمع يافاسيلى أنا إنسانة صريحة ـ (بصوت خافت ضعيف) ولن أخفى عنك شيئا فقد آلمتنى كثيراً .. فبدون أى سبب ضربتنى هذه الضربة القاصمة التى كان لها وقع

السياط فى نفسى .. ظللت تحدثنى عن حبك ثم فجأة ـــ

فاسيلى : لم يكن فجأة .. لقد كنت أحس ذلك من زمن بعيد .. أنت امرأة بدون روح يافاسيليا ، والمرأة يجب أن يكون لها روح .. إننا معشر الرجال وحوش كاسرة ويجب على المرأة أن تروضنا وتستأنسنا .. خبرينى بالله أى نوع من الترويض مارسته معى ؟

فاسيليا : ما فات قد فات .. أنا أعلم أننا لانستطيع السيطرة على عواطفنا .. فإذا كنت لم تعد تحبنى ، فليكن ، ولنواجه الأمر.

فاسيلى : حسنا .. هذا هو الواقع .. فليمض كل منا فى طريقه بهدوء دون أى شوشرة ،فهذا هو أفضل حل .

فاسيليا : لا .. انتظر .. ليس هذ كل مافى الأمر .. فحينما كنت أعاشرك كنت أعتمد عليك دائما فى الخلاص من هذا الشرك الذى أحيا فيه .. فأتحرر من زوجى ، ومن عمى ، ومن هذه الحياة كلها .. من المحتمل أنى لم أحبك أنت ، وإنما كنت أحب فيك هذا الأمل ، هذا الخاطر الذى كان يلح على فكرى . أفاهم أنت ؟ ! فقد كنت أنتظر منك أن تخرجنى من هنا .

فاسيلى : أنت لست ظفرا ،وأنا لست مقصا حتى أستطيع فصلك من هذا المكان ، وإذا كنت قد ظننت نفسى كذلك فى وقت من الأوقات فإنما كان هذا خلال تفكيرك أنت وتحت تأثير إيحائك .. إنك فطنة وذكية .. أليس كذلك ؟

فاسيليا (تنحنى مقتربة منه): فاسيا لم لانتعاون ؟

فاسيلى : كيف ؟

فاسيليا (بهدوء وقوة): أنا أعلم أنك تحب أختى .

فاسيلى . ومن أجل هـــذا تقسين عليها وتواصلين ضربها وإيذائها .. احترسى يا فاسيليا وكفى عن إيذائها .

فاسيليا : تمهل ولا تثر هكذا ، ففى إمكاننا أن نسوى الأمر فى هدوء وبطريقةودية.. أنت تريد الزواج من ناتاشا؟ حسنـا تزوجها.. بل إنى سأعطيك بعض المال كذلك ـ لنقل ثلاثمائه روبل .. وحينما يتجمع لدى بعض المال أعطيك زيادة .

فاسيلى : (يبتعد عنها) انتظرى ـ لماذا تعطينى هـــذا المال ؟.. ماهى الفكرة ؟

فاسيليا : خلصنى من زوجى ـ انتزع هذا الغل من رقبتى .

فاسيلى (يصفر صفيرا خافتا) : هذه هى المسأله إذن .. لقدفهمت الآن يالك من ماهرة ، الزوج فى أكفانه تحت التراب ،والعاشق ينفى إلى سيبريا أما أنت نفسك ـــ

فاسيليا : لا يافاسيا .. لماذا تنفى الى سيبريا ؟ . ليس من الضرورى أن تنفذ الأمر بنفسك ، ففى إمكانك استئجار آخرين .. وحتى إذا فعلتها أنت فمن الذى سيعلم ؟ .. فكر فى ناتاشا وفى المبلغ الذى ستحصل عليه .. تستطيع أن تذهب إلى مكان بعيد بعد أن تكون حررتنى بقية حياتى .. أما أختى فمن مصلحتها أن تبتعد

عنى كذلك .. فمن العسـير على أن أراها أمامى لأنى أشعر بالألم والمرارة كلما رأيتها، وذلك بسببك أنت، وأنا لا أستطيع كبح جماح نفسى. إنى اعذبها وأضربها، أضربها ضربا شديدا حتى لأبكى أنا نفسى رثاء لها، ولكنى استمر فى ضربها مع ذلك. وسأظل أضربها ..

فاسيلى : أنت شيطان مريد .. تقولين ذلك وكأنما تفخرين .

فاسيليا : أنا لا أفخر - إنى أقول الحقيقة .. فكر يافاسيلى . لقد سجنت مرتين بسبب زوجى، بسبب جشعه .. إنه يمتص دمائى مثل البق الشره .. إنه يفعل ذلك منذ أربع سنوات .. أى زوج هذا ؟ ثم إنه يعامل ناتاشا بقسوة لا مثيل لها ويعذبها، ويدعوها بالمتسولة .. إنه سم موضوع فى شراب الجميع .

فاسيلى : إن وراء هذا الكلام هدفا بارعا كل البراعة .

فاسيليا : إن قصدى واضح لا يفوت فهمه إلا على غبى .

(يدخل كستيلوف حذرا ويتقدم متلصصا)

فاسيلى (لفاسيليا) : من الأفضل أن تذهبى الآن .

فاسيليا : فكر فى الأمر (وقد لاحظت زوجها) ما الذى جاء بك إلى هنا ؟.. هل تبحث عنى ؟

(يقفز فاسيلى واقفا وينظر إلى كستيلوف بخشونة)

كستيليوف . إنه أنا .. نعم أنا .. وأنتما وحيدان هنا ؟ آه لقد كنتما تتحدثان؟ (تعثر قدمه فجأة ويقسط على فاسيليا) أيها الأقدار . (ينظر

إليه فاسيلي وفاسيليا دون أن يتحركا فيبـــدو عليه الخوف)
فليسامحنى الله فقد كدت تدفعيننى إلى الشك مرة ثانية يافاسيليا
لقد بحثت عنك فى كل مكان (يتعثر مرة ثانية) أما حان وقت
النوم؟ .. وأنت قد نسيت وضع الزيت فى المصباح أيتها
اللعينه البائسة . (يتهدد فاسيليا بيديه المرتعشتين فاسيليا تسير
ببطء نحو باب الردهة وهى تنظر خلفها الى فاسيلى .)

فاسيلى : (لكستليوف) اخرج من هنا !

كستليوف (صائحا) : أنا صاحب هذا المنزل ! اخرج أنت أيها اللص !

فاسيلى : (بهدوء) اخرج ياكستليوف !

كستليوف : أتجرؤ ! إنى سا .. سا (يمسك فاسيلى بكستليوف من ياقة سترته ويهزه .. يسمع شخير عال وتثاؤب مثل نهيق الحيونات آت من أعلى الفرن . يطلق فاسيـــلى سراح كستليوف الذى يجرى إلى الردهة صائحا)

فاسيلى (يقفز فوق السرير الخشبى): من فوق الفرن ؟

لوقا (يطل) : ماذا ؟

فاسيلى : أهذا أنت ؟

لوقا (فى هدوء): نعم أنا .. ولا أحد غيرى ... يارب !!

فاسيلى (يغلق باب الصالةويبحث عن المزلاجفلا يجده): آه الملاعين!
انزل ايها العجوز .

لوقا : سأنزل حالا . (ينزل)

فاسيلى (بخشونة): لماذا صعدت إلى أعلى الفرن ؟

لوقا : وهل كان يجب على أن أكون فى مكان آخر ؟

فاسيلى : ولكنك خرجت إلى الردهة .

لوقا : إن برودتها لا يتحملها عجوز مثلى .

فاسيلى : وهل سمعت ؟

لوقا : نعم .. وهل كان فى إمكانى أن أمنع نفسى من السمع ؟ إنى لست أصم. آه إنك محظوظ يابنى.. إنك محظوظ !

فاسيلى (بشك) : وكيف ؟

لوقا : لأنى صعدت فوق الفرن .

فاسيلى : ولماذا أخذت تصدر هذا الشخير المزعج من فوق ؟

لوقا : لأنى تضايقت من الحر .. وكان ذلك من حسن حظك يابنى، فقد قدرت أنك قد تخطىء وتضغط على رقبة العجوز حتى تقتله.

فاسيلى : نعم .. كان ذلك ممكنا، فأنا أكرهه ـــ

لوقا : لا شىء أسهل من ذلك . . . فى وسع أى إنسان أن يفعله ... وكثيرا ما يقع الناس فى هذا الخطأ.

فاسيلى (يبتسم). أليس من المحتمل أن تكون أنت قد وقعت فيه مرة ؟

لوقا : استمع يا بنى الى ما سأقوله لك .. يجب عليك أن تبتعد عن هذه المرأة ولا تدعها تقترب منك أبدا .. إنها ستعرف كيف تودى بزوجها الى القبر دون معونتك .. وهى ستفعل ذلك

خيرا منك بكثير .. صدقنى يا بنى ولا تستمع إلى هذه اللعينة
أنظر إلى رأسى . . ألا تراه قد اصبح أصلع ؟ لماذا ؟إنه بسبب
أمثال هذه المرأة .. لقد عرفت منهن عددا يفوق ما كان لى
من شعر .. وهذه المرأة فاسيليا امرأة شريرة .. وحوش
الغابات أرحم منها .

فاسيلى : أنا لا أفهم ، هل المفروض أن أشكرك .. أم أنك لست إلا ـ

لوقا : لا تقل شيئا ، فلن تستطيع أن تضيف إلى ما قلته شيئا ذا بال
.. خير لك أن تستمع إلى ـ أياً كانت هذه الفتاة التى تحبها هنا،
خذها من ذراعها وارحلا من هذا المكان .. ابتعد من هنا بأسرع
ما تستطيع !

فاسيلى (برزانة) : إنى لا أستطيع تقسيم الناس إلى طيبين وأشرار ..
أنا لا أفهم شيئا .

لوقا : وهل هناك ما يستحق الفهم ؟ إن الإنسان قادر على أن يحيا
حسبما يملى عليه قلبه .اليوم يدفعه قلبه إلى طريق الخير ، وغدا إلى
الخسة والنذالة .. فإذا كانت هذه الفتاة قد مست شغاف قلبك
حقا، فخذها واهرب .. وهذا كل ما فى الأمر .. كما أنك تستطيع
أن ترحل وحدك لأنك لا تزال صغيرا وأمامك الوقت
الكافى للعثور على امرأة مناسبة تستقر معها .

فاسيلى (يمسك بكتفى لوقا): هل تستطيع أن تخبرنى ماذا تستفيد أنت
من كل هذا ؟

لوقا : انتظر .. دعنى لأرى آنا فقد كانت أنفاسها تضطرب (يسير إلى فراش آنا ويرفع الستار ثم ينظر إليها ويلمسها بيده بينما يراقبه فاسيلى بانتباه وحيرة) يا إله يا أرحم الراحمين تقبل بلطفك روح عبدتك الراحلة آنا.

فاسيلى (بصوت هادىء) : هل ماتت ؟ (يمدد جسمه دون أن يتحرك من مكانه ويحدق فى الفراش)

لوقا (بهدوء) : لقد انتهى عذابها .. أين زوجها ؟

فاسيلى : الغالب أنه فى الحانة .

لوقا : لا بد أن أذهب لأخبره .

فاسيلى (يهز كتفيه): أنا لا أحب الأموات.

لوقا (ذاهبا إلى الردهة) : وماذا بقى فيهم لنحبهم من أجله ؟ الأحياء هم الذين يستحقون الحب .. نعم الاحياء .

فاسيلى : سآتى معك .

لوقا : هل أنت خائف ؟

فاسيلى : أنا لا أحب — (يسرعان إلى الخارج..المكان خال وهادىء .. بعد قليل تسمع ضجة غير واضحة ولا منسجمة آتية من ناحية الردهة ، ثم يدخل الممثل) .

الممثل (يقف عند المدخل ويترك الباب مفتوحا ويمسك به بكلتا يديه ويصيح): هيه أيها العجوز ! أين أنت ؟ .. لقد تذكرتها ..اسمع (يتقدم خطوتين مترنحا ويتخذ وضعا مسرحيا ثم يبدأ فى

الإلقاء)
« إذا كان العالم يا رفاق ، عاجزا عن الاهتداء إلى طريق العدل والحق ، فلنكرم إذن ذلك المجنون الذى ينسج أحلاما ذهبية ليمنح البشريه نهاية سعيدة . »
(تظهر ناتاشا بالباب خلف الممثل (أيها العجوز ، اسمع : « وإذا نسيت الشمس غدا أن تضىء الطريق الأبدى لكوكبنا فستبزغ حالا فكرة لمجنون من المجانين لتنير الأرض المظلمة . »

ناتاشا (ضاحكة) : أيها المعتوه ! هل كنت تسكر بالخارج ؟

الممثل (يواجه ناتاشا) : آه ! هذا أنت ؟.. أين العجوز ؟ .. العجوز العزيز الضئيل ؟ يبدو أنه لا أحد هنا ... حسنا الوداع ياناتاشا نعم . الوداع !

ناتاشا (تخطو إلى الأمام) : إنك لم تكد تقل مساء الخير ... والآن تقول الوداع .

الممثل (يقف فى طريقها) : سأترك هذا المكان .. سأرحل .. سيأتى الربيع ولكنى لن أكون هنا .

ناتاشا : دعنى أمر ... إلى أين ستذهب ؟

الممثل : سأذهب للبحث عن إحدى المدن حيث أعالج .. يجب أن ترحلى أنت أيضا يا « أوفيليا » لتدخلى الدير .. فى هذه المدينة مصحة لعلاج مدمنى الخمر ، مصحة فخمة مصنوعة كلها من

الرخام، حتى الأرضية ... الحجرات نظيفة وضاءة ... والطعام وكل شيء هناك مجانا !.. ولا تنسى أن الأراضى رخامية أيضا!.. سأعثر على هـذه المصحة وسأشفى ، وسأعود مرة ثانية إلى التمثيل « إنى فى طريقى لأولد من جديد» كما قال الملك لـــير . لا أحد يعـــلم أن اسمى المسرحى هو شفر شكوف زافولسكى لا أحد يعلم هذا ، فأنا هنا بدون اسم ... هل تستطعين إدراك مدى الألم الذى يعانيه الإنسان من فقد اسمه ؟ ... فحتى الكلاب لها أسماء ... (تتحرك ناتاشا بهدوء حـول الممثل وتقف عند فراش آنـا وتنظر) إن من فقد اسمه فقد نفسه .

ناتاشا : انظر إنها ميتة !

الممثل (يهز رأسه) : هذا مستحيل !

ناتاشا (تتقهقر إلى الوراء) : حقا ... انظر .

(يظهر بوبنوف بالباب)

بوبنوف : إلى أى شيء ؟

ناتاشا : إن آنـا ميتة .

بوبنوف : هذا معناه انتهاء سعالها المزعج (يسير إلى فراش آنـا وينظر إليها ثم يذهب إلى فراشه) يجب اخبار كلستش فهذا شأنه .

الممثل : اذهب لإخباره .. لقد فقدت اسمها ! (يخرج)

ناتاشا (واقفة فى وسط الحجرة) :سيأتى يوم أنتهى فيه هذه النهاية فى قبو دون أن يفكر أحد فى .

بوبنوف (وهو يبسط بعض الملابس الممزقة على فراشه) : ماذا ماهذه الغمغمة ؟

ناتاشا : لا شيء ... كنت أكلم نفسى ...

بوبنوف : هل تنتظرين فاسيلى ؟ ... احترسى فسوف يكسر لك رقبتك

ناتاشا : إنها ستكسر ستكسر ، فلا يهم من الذى سيفعل ذلك . . . بل أنا أفضل أن يكون هو الذى يكسرها.

بوبنوف (يستلقى على فراشه) : حسنا ... هذا شأنك أنت .

ناتاشا : من الخير أنها ماتت ... ولكنى لاأستطيع أن أمنع نفسى من الرثاء لحالها . . يارب لماذا عاشت هذه المخلوقة ؟

بوبنوف : هذا مصيرنا جميعا ... فالإنسان يولد ثم يعيش بعض الوقت ثم يموت ... أنا سأموت وكذلك أنت ،فليس هناك مايستوجب الحزن . (يدخل لوقا والتترى وجويتر وكلستش . كلستش . يسير خلف الآخرين متباطئا مقوس الظهر .)

ناتاشا : هش .. آنا ـــ

جويتر : نحن نعلم فليرح الله روحها إذا كانت قد ماتت .

التترى (لكلستش) : يجب أن تخرجها من هنا ! اسحبها إلى الردهة فليس هنا مكان الأموات ... هنا سينام الأحياء بعد قليل .

كلستش (فى صوت منخفض): سأخرجها .

(يسير الجميع نحو الفراش.. يحدق كلستش فى زوجته من فوق أكتاف الآخرين)

جويتر (للتترى) : هل تظن أنها ستسبب رائحة كريهة ؟ لا أظن لأن لحمها قد جف أثناء حياتها .

ناتاشا : ياالهي مامن أحد يشعر بالحزن من أجلها ... أو يتفوه بكلمة واحدة طيبة ، ياللعار !

لوقا : لاتفكرى بهذه الطريقة يافتاتى . . فهم على حق . كيف نشعر بالحزن على ميت ؟ . . إننا يافتاتى لانشعر بالحزن من أجل الأحياء . . ولا حتى من أجل أنفسنا . . فماذا تنتظرين غير هذا؟

بوبنوف (يتثاءب) : وشىء آخر إن الميت لايتأثر من كلماتنا. أما المريض فإنه يتأثر .

التترى (يسير الى الخارج) : يجب أن استدعى البوليس .

جويتر : البوليس ... هل اخبرت البوليس يا كلستش ؟

كلستش : لا . . يجب أن أدفنها وكل ما أملكه هو أربعين كوبكا .

جويتر : إذن ، فيجب أن تقترض . . أو قد نستطيع أن نجمع لك بعض المال ، خمسة كوبكات من هذا، وأى مبلغ يسمح به ذاك. ولكن ينبغى أن تخبر البوليس حالا وإلا اعتقدوا أنك قتلتها أو أى شىء آخر . (يسير إلى فراشه ويستعد للنوم بجوار التترى)

ناتاشا (تسير نحو فراش بوبنوف) : سأظل أحلم بها لأنى أرى الأموات دائما اثناء نومى . . أنا أخاف العودة وحيدة فالردهة مظلمة .

لوقا (يتبعها) : خذيها على أن تخافى من الأحياء . الأحياء . لا الأموات .
ناتاشا : تعال معى إلى الباب أيها الجد .
لوقا : حسنا هيا بنا . (يخرجان ... فترة من الصمت)
جويتر . أوه ، هاها .. ياتترى إن الربيع قد اقترب ياصديقى ، وسوف تدفأ الدنيا من جديد ! لقد أخذ الفلاحون يعدون محاريثهم وجراراتهم لحرث الأرض .. ونحن ياحسن ماذا سنفعل ؟
بوبنوف . إن التتريين يحبون النوم .
كلستش (يقف فى وسط الغرفة ويحدق فى الفضاء بغباء) : وماذا أفعل الان ؟
جويتر : استلق على ظهرك ونم ... هذا كل شىء .
كلستش (بصوت خافت) وماذا عنها ؟ (لايجيبه أحد .. يدخل ساتن والممثل .)
الممثل (يصيح): أيها العجوز ... تعال هنا ياصديقى المخلص .
ساتن : انظروا .. انظروا إلى المكتشف العظيم ! ها ها !
الممثل : لقد أعددت كل شىء ! أين المدينة أيها العجوز ؟ أين أنت؟
ساتن ياله من سراب ! خدعك العجوز فليس هناك شىء . لامدينه ولا ناس ... لاشىء !
الممثل . أنت تكذب !
التترى (يقفز من فراشه) : أين صاحب هذا المنزل ؟ سأذهب إليه فأنا لاأستطيع النوم ... لن أدفع الإيجار بعد اليوم أموت ..

و ... وسكارى . (يندفع خارجا ويتبعه ساتن بصفير)

بوبنوف (بصوت ناعس) : هيا إلى فراشكم يا أصدقاء ... وكفوا عن الضجيج ... فالمفروض أن الناس تنام بالليل .

الممثل . أوه ، نعم توجد هنا جثة ميت ... « أبى ، أبى هل سمعت؟ لقد صادت شباكنا جثه! .. » .. هذا من شعر شكسبير .

ساتن (يصيح) : إن الجثث لاتسمع ! الجثث لا تشعر ! صيحوا ، اصرخوا ـــ فالجثث لاتسمع !

(يظهر لوقا بالباب)

« ستـــار »

الفصل الثـــالث

[أرض فضاء ، تناثرت فى انحائها مواد قديمة مهملة ، وكستها الأعشاب البرية . فى المؤخرة حائط من الطوب الاحمر يعترض السماء ، وقـــد نمت إلى جواره بعض الشجيرات . ويظهر على اليمين جدار خشبي داكن اللون هو جانب من حظيرة . على اليسار حائط رمادى به ترميات . هذا الحائط جزء من منزل كستليوف وهـو يمتد بزاوية إلى منتصف المسرح تقريباً، وبينه وبين الحائط الأحمر ممر ضيق. توجد فى الحائط الرمادى نافذتان إحداهما فى مستوى الارض والأخرى يبلغ ارتفاعها خمس اقدام ، وهى قريبة من الممر. بحذاء هذا الحائط توجد عربة ثلجية من الطراز الريفى مقلوبة وكتلة خشبية طولهـا حوالى عشر اقدام . وبجوار الجدار الايمن كومة من الدعائم والالواح الخشبية القديمة .

الوقت مستهل الربيع وقد ذابت الثلوج .. ولم تزهر أغصان الشجيرات بعد . الشمس الغاربة تضفى وهجها على الحائط الاحمر .

ناتاشا وناستيا جالستان جنبا إلى جنب على الكتلة الخشبية . لوقا والبارون جالسان على العربة المقلوبة . كلستش مستلق على كومة من الأخشاب القديمة . يظهر رأس بوبنوف من النافذة المنخفضة .]

ناستيا (تتحدث وكأنها تغنى ، مغمضة العينين ورأسهـــا يتحرك فى فى إيقاع متسق مع كلماتها) : وفى ليلة من الليـــالى جاء إلى الحديقة، إلى الشجرة التي تواعدنا عندها .. وكنت أنا هنـاك

انتظره من زمن طويل ، وارتعد خوفا . وكان هو أيضا يرتعد من قمة رأسه إلى قدمه ، وكان وجهه أبيض كالطباشير وفى يده مسدس —

ناتاشا (تتسلى بتكسير بذور حبات عباد الشمس) : تصورى ! يبدو أن مايقال عن حالات اليأس التى تتملك الطلبه صحيح ..

ناسيتا : وقال لى فى صوت متهدج « ياحياتى » ياحبيبتى الغالية —

بوبنوف : ها ها ! غالية ؟ !

البازون : لحظة واحدة إذا لم يكن هذا الحديث يعجبك فلا تنصت — ولكن لاتفسد كذبة متقنة . استمرى .

ناسيتا : ثم قال لى « يامعبودتى إن والدى يرفض الموافقة على زواجى منك ، ويهدد بلعنتى إلى لابدمن أجل حبى لك . وهكذا فلم يبق أمامى سوى إنهاء حياتى . » وكان المسدس كبيراً فى يده وبه عشر رصاصات كاملة . ثم قال : « وداعا يا حبيبتى ، فلن يغير رأيى أى شىء ، فإنى لا أقوى على الحياة بدونك أبدا ! . فأجبته ياحبيبى الذى لن أنساه أبد .. يامارسيل —

بوبنوف (بدهشة) : مورسيل ؟ ماهذا ؟ أهو شىء يؤكل ؟

البارون (ضاحكا) : ولكن اسمى ياناسيتا .. ألم يكن اسمه فى المرة السابقة جاستون ! ؟

ناستيا (تهب واقفة) : اسكتوا أيهـا البؤساء ! .. ماأنتم إلا كلاب ضالة ! كيف يمكنكم أن تفهموا الحب ؟.. الحب الحقيق ؟ أما

أنا فقد جربته (للبارون) وأنت أيها البائس المسكين ! تزعم أنك متعلم ؟ وكنت تشرب القهوة بالقشدة فى الفراش ـــ

لوقا : مهلا يا رفاق ! لا تقاطعوها احترموا الفتاة ودعوها تسلك طريقها .. فليس المهم ما يقال . وإنما المهم هو لماذا يقال، وأنت يا فتاتى لا تبالى بهم ، واستمرى فى قصتك .

بوبنوف : نعم .. غير ريشك أيها الغراب .

البارون : حسنا استمرى .

ناتاشا : ومن يكون هؤلاء حتى تهتمى بهم؟إنهم لايقولون هذ إلا حسدا فليس لديهم ما يقصونه عن أنفسهم .

ناستيا (تعود إلى مجلسها) : لا أريد أن أتحدث أكثر من هذا ـــ لا ، لن أفعل . ماداموا لايصدقوننى ويسخرون منى — (تكف عن الحديث فجأة وتصمت لحظات قليلة ، ثم تغلق عينيها مرة ثانية وتعود إلى قصتها فى صوت دافىء مرتفع محركة يديها حركات متسقة مع إيقاع كلامها ، وكأنها تنصت إلى موسيقى آتية من بعيد) فقلت له : يافرحة عمرى ! يانجمى الساطع ! إن حياتى بعدك فى هذا العالم مستحيلة . فأنا احبك بجنون ، وسأظل أحبك ماخفق قلبى بين ضلوعى .. ولكن يجب عليك ألا تدمر شبابك الغض ، أبق عليه من أجل والديك فأنت سعادتهما الوحيدة — انسنى ودعنى أقاسى وحدى آلام فقدك .. فأنا وحيدة فى الحياة .. وهل لأمثالى أحد ؟ فلأمت أنا ،

فلست أبالى بموتى الآن! أنا لا أصلح لأى شىء، و ليس لى شىء —
(تدفن وجهها بين كفيها و تبكى فى صمت) .

ناتاشا (تبتعد عن ناستيا و تتحدث بصوت منخفض) : لا تبكى ... لا تبكى ! (لوقا يربت على رأس ناستيا مبتسما)

بوبنوف (ينفجر ضاحكا) : أيتها المعتوهة !

البارون (ضاحكا) : هل تصدق ماقالته أيها الجد ؟ .. لقد اقتبسته كله من كتاب «الحب القاتل» .. إنه مجرد هذر فلا تشغل نفسك بأمرها

ناتاشا : وما دخلك أنت فى الأمر ؟ إذا لم يكن لك قلب ينبض فلا أقل من أن تمسك لسانك .

ناستيا (بعنف) : أنت أيها الملحد الفارغ ! أين ذهبت روحك ؟

لوقا (ممسكا ناستيا من ذراعها) : تعالى ياعزيزتى . هدئى من روعك و لا تبالى بهم . أنا فاهم .. إنى أصدقك . إن كلامك هو الصادق لا كلامهم . إذا كنت تعتقدين أنك أحببت حبا حقيقيا ، فلقد أحببت لاشك .. أحببت بالتأكيد .. لاتغضبي من البارون ربما كان ضحكه مجرد حسد .. ربما لم يعرف فى حياته كلها شيئا حقيقيا صادقا ... تعالى .

ناستيا (تضغط بيديها على صدرها) : بشرفى هذا صحيح، لقد حدث هذا كله فعلا ياجدى .. لقد كان طالبا ، طالبا فرنسيا اسمه «جاستون» . وكانت له لحية صغيرة سوداء ، وكان يرتدى حذاء جلديا برقبة . ليلعنني الله إذا لم يكن هذا حقا .. وكان

يحبنى أخلص الحب .

لوقا : أنا فاهم. أنا أصدقك .. تقولين إنه كان يرتدى حذاء برقبة؟ ياإلهى ! وكنت أنت تحبينه أيضا ؟ (يخرجان من الممر)

البارون : إن هذه الفتاة غبية — نعم هى طيبة ، ولكنها غبية غباء لايحتمل .

بوبنوف : ما الذى يغرى الناس بالكذب إلى هذا الحد ؟ كأنما يواجهون دائما محققا يمطرهم بالتهم —

ناتاشا : يبدو أن الأكاذيب أجمل من الحقيقة بكثير . أنا أيضا —

البارون : حسنا أكملى .

ناتاشا : أنا أيضا أحب أن أتخيل أشياء ... أتخيلها ثم أنتظر .

البارون : تنتظرين ماذا؟

ناتاشا (تبتسم مرتبكة) : أوه ، لا أدرى . إنى أحيانا أفكر أن الغد قد يأتى بشخص .. شخص مختلف كل الاختلاف عمن حولى ، وأن شيئا قد يحدث لم يحدث من قبل . إنى أنتظر وأنتظر .. أنا فى انتظار دائم . ولكنى أتساءل ، ماهذا الذى انتظره ؟

البارون (ساخراً) : لا شىء يستدعى الانتظار .أنا لا أتوقع أى شىء، فكل شىء قد حدث فعلا . كل شىء قد انتهى ! أكملى حديثك .

ناتاشا : وأحيانا أخرى يخيل إلىّ أنى غداً .. سأموت فجأة . هـــذه الفكرة تعطينى إحساسا غريبا يجعلنى أقشعر .. والصيف وقت مناسب لتخيل الموت .. فهو كثير الصواعق، وما أسهل أن

تقضى إحداها على الإنسان !

البارون : إن حياتك قاسية لاريب . فأختك شيطان مريد .

ناتاشا : وهل هناك من يحيا حياة سعيدة ؟ لا أحـــد . إنى أرى هذا حولى .

كلستش (يهب واقفـا فجأة بعد أن كان ساكـنا غير عابىء بشىء) : لا أحد ؟ هذا كذب ! فيوجد بعض السعداء ! .. لو كان الجميع يقاسون ، لهان الأمر ، ولما شعر أحد بظلم الحياة له .

بوبنوف : ماذا بك ؟ .. أركبك الشيطان ؟ .. لماذا تنبح هكذا ؟ هوه !

(كلستش يستلقى على كوم الأخشاب كما كان ، ويغمغم بينه وبين نفسه .)

البارون : أظن أنه يستحسن أن أذهب وأصالح ناستيا .. وإلا فلن تقدم لى أى شراب .

بوبنوف : هه — إن النـاس جميعا يحبون الـكذب .. أما ناستيا فأنا أفهم لماذا تكذب ، لقـد تعودت أن تطلى وجهها بالمساحيق وهى تريد طلاء روحهـا كذلك ، تريد صبغهـا « بالروج » . ولـكن لماذا يكذب بقية الناس ؟ فهذا لوقا يكذب بإسراف ولا ينال شيئا من وراء كذبه . . ثم إنه رجل عجوز ، فلماذا يكذب؟

البارون (يبتعد مبتسما) : إن أرواح الآدميين كلها رمادية تافهة ، وهم جميعا يريدون صبغها « بالروج » .

لوقا (يعود من ناحية الممر) :اسمع ياصديق ، لماذا تضايق الفتاة؟ يجب أن تتركها وشأنها . دعها تسرى عن نفسها بالبكا أثناء .

تعلم انها تجد متعة فى البكاء .. فما الذى يضايقك فى هذا ؟

البارون : الموضوع كله سخيف .. لقد مللته . اليوم «مارسيل» وغداً «جاستون» ، وكل يوم نفس القصة لا تتغير ! على كل حال فأنا ذاهب لأصالحها (يخرج) .

لوقا : اذهب وكن رفيقا بها .. فلن يؤذيك أبدا رفقك بإنسان .

ناتاشا : أنت رجل طيب أيها الجد ، ما الذى يجعلك هكذا ؟

لوقا : تقولين طيب ؟ لا بأس إذا كان زعمك صحيحا .

(يسمع من وراء الحائط الأحمر غناء لطيف يصاحبه عزف على «الأوكرديون ») يجب أن يكون بعض الناس طيبين يا فتاتى يجب أن نشعر بالحزن من أجل الآخرين .. لقد كان المسيح يشعر بالحزن من أجل الناس جميعا ، وأمرنا أن نكون مثله .. صدقينى إن إحساسك بالحزن من أجل إنسان فى اللحظة المناسبة يفيده كثيرا .. وهاك حادثة وقعت لى تؤيد هذا . فى وقت من الأوقات كنت حارسا لمنزل ريفى يملكه أحد المهندسين فى "سيبريا" بالقرب من مدينة «تومسك» وكان المنزل وحيدا وسط الغابة ليست بجواره مساكن أخرى . وكان الوقت شتاء وكنت فى المنزل وحدى وكنت سعيداً .. وذات يوم سمعت أصواتا بالقرب من إحدى النوافذ .

ناتاشا : لصوص ؟

لوقا : تماما .. وكانوا يحاولون كسر النافذة ، فأخذت بندقيتين وخرجت ونظرت فإذا برجلين يحاولان فتح النافذة . وكانا منهمكين فى عملهما حتى أنهما لم يشعرا بى، فصحت فيهما : « هيه أنتما .. ابتعدا من هنا ! » فما الذى فعلاه ؟ لقد استدارا واندفعا نحوى بفأس فأنذرتهما قائلا : « ابتعدا وإلا اطلقت عليكما النار . »، وصوبت البندقية نحوها ، فما كان منهما إلا أن ركعا توسلا إلى أن أتركهما، ولكنى كنت حانقا عليهما فى ذلك الوقت بسبب الفأس، فقلت لهما : «أيها الشيطانان .. إنكما لم تبتعدا حينما طلبت منكما ذلك ، أما الآن فليكسر أحدكما أغصانا من هذه الشجرة . » فلما تم ذلك قلت: « فلينبطح أحدكما على الأرض وليضرب به الآخر بالأغصان . » وهكذا ضرب كل منهما الآخر تنفيذا لأوامرى ولما تم ذلك قالا لى: « أيها الجد أعطنا بعض الخبز رحمة بنا، فقد كنا نتجول وأمعاؤنا خاوية » هؤلاء هم اللصوص ياعزيزتى (يضحك) وكان معهما فأس أيضا! لقد كان الاثنان شخصين طريفين. فقلت لهما : « ياشيطانان لماذا لم تطلبا الخبز من أول الأمر؟ » فأجابانى: « لقد مللنا السؤال . ظللنا نسأل الناس دون أن نحظى منهم بشىء على الاطلاق .. وهذا شىء يؤلم النفس أمر الألم .. » وهكذا أقاما معى الشتاء كله. وكان أحدهما ويدعى « ستبان » . يأخذ البندقية أحيانا ويخرج إلى الغابة ليصطاد ، ويمضى فيها عدة أيام .. أما الآخر

ويدعى «ياكوف» فكان معتل الصحة دائم السعال ..وظللنا نحرس المنزل الريفى سويا حتى جاء الربيع فقالا لى :« الوداع أيها الجد.» ورحلا آخذين طريقهما الى روسيا.

ناتاشا : هل كانا هاربين من السجن ؟

لوقا : نعم ، كانا هاربين من معسكر اعتقال . مخلوقان لطيفان ! لو لم أشعر أنا بالحزن من أجلهما فى الوقت المناسب لكانا قتلانى أو لحدث شيء من هذا القبيل . ثم كانا يحاكمان ويرسلان إلى السجن أو إلى المنفى فى سيبريا . أى حكمة فى هذا ؟ إن السجن لا يعلم الإنسان فعل الخير ، ولا حتى سيبريا ، أما الإنسان فإنه يستطيع أن يعلم أخاه الانسان فعل الخير - صدقونى !

بوبنوف : نعم ! ولكنى لا أعرف كيف أكذب .وما فائدة الكذب؟ إنما أقصده إن على الإنسان أن يقول الحقيقة كما هى دون أن يخجل منها أيا كانت .

كلستش (يهب واقفا مرة ثانية كمن اشتعلت فيه النار ويصيح) : أى حقيقة ؟ أين الحقيقة ؟ أنا متعطل ولا أقوى على العمل .. وليس لدى مكان أعيش فيه .. كل ما بقى لى هو أن أموت كالكلب ! أليست هذه هى الحقيقة ؟ يارب رحمتك ! .. ماقيمة الحقيقة بالنسبة إلى إنى أريد أن أتنفس بحرية أكثر..هذا هو كل ما أريده أى ذنب جنيته ؟ وما قيمة هذه الحقيقة التى تتشدقون بها؟ ليست لدى فرصة للحياة يارب ياقادر. ليست هناك أى فرصة ..

هذه هى الحقيقة !

بوبنوف : إيه .. لقد أصيب فى عقله بلاشك .

لوقا : يارب .. اسمع ياصديقى يجب عليك أن ـ

كلستش (يهتز منفعلا) : أنت تظل تردد الحقيقة.. الحقيقة ! أيها العجوز إنك تظل تهدىء الجميع .. حسنا إنى أكرهكم جميعا.. وهذه حقيقة أخرى ـ فإلى الجحيم بها.. أتفهمون؟.. إلى الجحيم (يخرج مندفعا من ناحية الممر وينظر خلفه قبل أن يختفى) .

لوقا . يا إلهى ! إنه مرتبك ارتباكا شديدا ! ترى إلى أين هو ذاهب؟

ناتاشا . لقد تصرف الآن كمن أصيب بخبل مفاجىء .

بوبنوف . إنى أسميه استعراضا ظريفا .. تماما كما يحدث على المسرح. ولو أن هذا يتكرر كثيرا .إن الرجل لم يتعود على احتمال الحياة بعد .

(يدخل فاسيلى متباطئا من ناحية الممر)

فاسيلى : السلام عليكم أيها القوم الشرفاء ! ألا تزال أيها العجوز المحتال تقص حكاياتك ؟

لوقا : كان يجب أن تكون حاضرا منذ قليل .. فقد فاتك أن ترى رجلا يصرخ حتى كاد يمزق رئتيه .

فاسيلى : من ؟ كلستش ؟ .. ترى ما الذى أصابه ؟ لقد رأيته يجرى وكأنما اشتعلت النار فيه

لوقا : وكيف لايجرى والنار تشتعل فى قلبه؟

فاسيلى : أنا لا أحبه . فهو دائما حزين ومتكبر (يقلد كلستش) «أنا عامل ».. وهو يحاول أن يقنعك بأنه أرفع من الجميع.. ليشتغل عاملا إذا أراد ـ ولكن ما وجـــه الفخر فى ذلك ؟ . إننا لو حكمنا على الناس بأعمالهم لكان الحصان أفضل من أى إنسان ، فأنت تركبه وتقوده كيفما شئت دون أن ينبس ببنت شفة . .هل أهلك بالمنزل ياناتاشا ؟

ناتاشا : لقد ذهبوا إلى المدافن ـ وقالوا إنهم سيحضرون الاجتماع المسائى بعد ذلك .

فاسيلى : لقد كنت أفكر فى سبب وجـــودك هكذا لا تؤدين أى عمل إنه منظر نادر .

لوقا : (محدثا بوبنوف وقد بدت على ملامحه علامات التفكير): لقد كنت تقول إننا فى حاجة الى الحقيقة ، ولكن الحقيقة يا بوبنوف ليست دائما العلاج لآلام الناس ،فأنت لا تستطيع دائما أن تشفى الأرواح بالحقيقة . وخذ هذه الحالة مثلا .. لقد كنت أعرف رجلا يؤمن بوجود أرض، كل ما فيها حق وعدل .

بوبنوف: يؤمن بماذا؟

لوقا : يؤمن بأرض الحقيقة والعدل . وكان يؤكد أن هذه الارض لا بد أن تكون موجودة فى مكان ما فى هذا العالم.وكان يقول إن سكان هـــذه الأرض نوع خاص من البشر الممتازين ،

يحترم بعضهم بعضا ، ويساعد بعضهم بعضا ،وكل ما يفعلونه جميل وخيّر .. وهكذا كان هذا الرجل يفكر كل يوم فى السفر للبحث عن أرض الحق والعدل هذه .. كان فقـــيرا معدما يقاسى الأمرين فى حياته، ولكنه كان حينما تتعقد الأمور على استعداد للإستلقاء على ظهره .. ليموت دون أن يفقد شجاعته بل كان يبتسم دائما ويقول: «سأتحمل وسأنتظر قليلا، ثم سأهجر هذه الحياة وأذهب إلى أرض الحق والعدل » .. كان الحلم بهـذه الأرض هو سعادته الوحيدة فى الحياة —

فاسيلى : وهل ذهب حقا ؟

بوبنوف : أين ؟ ها ها !

لوقا : ثم حضر إلى هذا المكان — وكان ذلك فى سيبريا — عالم نفته الحكومة، وكان يحمل معه كثيرا من الكتب والخرائط ونحوها .. فقال له صاحبنا : « هل فى سمعروفا وتدلنى على مكان أرض الحق والعدل وطريق الوصول إليها؟» ففتح العالم كتبه واستشار خرائطه .. بحث هنا ..وبحث هناك ،فلم يجد أرض الحق والعدل لا هنا ولا هناك ..كل شيء فى مكانه وكل البلاد والأراضى واضحـة فى أماكنها .. أما أرض الحقيقه والعدل فلا وجود لها .

فاسيلى (فى صوت خفيض): لا وجود لها ؟ .. حقـــا؟(بوبنوف يضحك)

ناتاشا : لا تقاطع . استمر أيها الجد .

لوقا : فلم يصدقه صاحبنا وقال له : «لا بد أنها موجودة ، حقق النظر مرة ثانية .. وإلا فكتبك وخرائطك لا قيمة لها إذا ما فشلت فى إرشادنا إلى أرض الحقيقية والعدل» .. فغضب العالم لهذا الحديث وقال : «إن خرائطى أدق خرائط فى العالم، أما أرض الحقيقة والعدل فلا وجود لها فى أى مكان .» فغضب صاحبنا هو الآخر وقال محتدا : «لقد عشت وقاسيت كل هذه السنوات معتقدا فى وجودها ، ثم تأتى خرائطك لتدحض هذا الاعتقاد ! .. إنها سرقة أيها القذر الحقير .. إنك لص ولست عالما .» وضربه بقبضة يده على أنفه مرتين . (يصمت) ثم تركه وعاد إلى غرفته .. حيث شنق نفسه .

(يصمت الجميع بينما ينظر لوقا إلى فاسيلى وناتاشا باسما) .

فاسيلى (فى صوت منخفض): يا للشيطان ! .. إنها ليست قصة مرحة

ناتاشا : لم يحتمل اكتشاف خديعته .

بوبنوف (عابسا): إنها مجرد أقاصيص .

فاسيلى : نعم ـ هذه هى قصة أرض الحق والعدل . لقد أنتهت بأنه لا يوجد شيء من هذا القبيل .

ناتاشا : إنى شعر بالحزن من أجل هذا الرجل .

بوبنوف : كلها أوهام . ها ها ! أرض الحق والعدل ، ما رأيكم فى هذا ؟ ها ! ها ! (يختفى من النافذة)

لوقا (مشيرا براسه ناحية نافذة بوبنوف) : إنه يضحك . هيه . هيه!
(يصمت) حسنا أيها الأصدقاء إنى أتمنى لكم نهايات سعيدة
فأنا مغادركم حالا .

فاسيلى : وأين ستذهب الآن ؟

لوقا : إلى أوكرانيا ، فقد سمعت أنهم توصلوا هناك إلى عقيدة جديدة
يجب أن ألم بها .. نعم فالبشر دائمو الأمل فى الوصول إلى شىء
أفضل . فليمنحهم الله الصبر !

فاسيلى : وما رأيك أنت ؟ هل تعتقد أنهم سيصلون فعلا ؟

لوقا : من..البشر؟ . نعم سيصلون..ابحث عن أى شىء وتمنه من قلبك..
تصل إليه حتما..

ناتاشا : لو كانوا سيصلون إلى شىء ..لو كانوا يفكرون فى شىء حسن —

لوقا : إنهم سيفكرون فى هذا.. ولكن علينا أن نساعدهم يا فتاتى
لنسهل عليهم الأمر .

ناتاشا : وكيف أستطيع أنا أن أساعدهم ؟ .. إنى لا أجد من يساعدنى !

فاسيلى (بعزم): أنا سأساعدك — وسأعرض عليك الأمر مرة ثانية
ياناتاشا — وليسمع لوقا أيضا فهو يعرف كل شىء — تعالى معى.

ناتاشا : إلى أين؟..من سجن إلى آخر ؟

فاسيلى : لقد وعدتك بأنى سأمتنع عن السرقة . أقسم لك أنى سأمتنع،
وأنا أعنى ما أقول .. أنا لست أميا وسأجد عملا .. وهاك
لوقا إنه يقول إن على المرء أن يذهب إلى سيبريا بإرادته ..

فلنذهب إلى هناك . ألا تظنين أنى قد ضقت بحيــاتى ؟ إنى أعرف وأرى الآن كل ما حولى .. إنى أحاول أن أسرى عن نفسى بتذكر أولئك الذين يسرقون أضعاف ما أسرق ويحاطون بالاحترام والتقدير ، ولكن ذلك لا يسرى عنى لأنه ليس الحل لما فى نفسى .. وأنا حينما أقول ذلك لست مدفوعا بما يسمونه ـ الضمير فأنا لا أؤمن به .. شىء واحد أعلمه جيدا . هو أن هذا الطريق ليس طريق الحياة الحقـــة ، إنى أريد أن أحيا حياة أفضل ، يجب على أن أحيا بطريقـــة تدعونى إلى إحترام نفسى .

لوقا : إنك على صواب يا فتاى ، فليساعدك الله . إنك على حق .. يجب على الإنسان أن يحترم نفسه .

فاسيلى : لقد بدأت حياة السرقة منذ طفولتى .. وكان الجميع ينادوننى بفاسيلى اللص ، فاسيلى ابن اللص. هـــكذا .. افهمى الأمر كما تريدين فها أنا أمامك لص ! ولكن ربما قد صرت لصا بالرغم منى .. لأن أحدا لم يفكر فى أن ينادينى باسم آخر غير اللص . ولكنك ستنادينني باسم غير هذا يا ناتاشا ، أليس كذلك؟

ناتاشا (بنغم حزين): ولكنى لا أستطيع أن أصدق أى كلام . ثم إنى أشعر بتوعك اليوم، وقلبى يؤلمنى كأنما أتوقع حدوث شىء .. إنى آسفة لأنك بدأت هذا الحديث يا فاسيلى .

فاسيلى : وإلى متى كنت سأنتظر ؟ .. ثم إن هـذه ليست المرة الأولى

التى أصرح لك فيها بهذا .

ناتاشا : حسنا . أنا لا أتصور كيف أستطيع الرحيل معك .. فأنا بصراحة لا يمكننى أن أقول إنى أحبك كثيرا، فأحيانا يخيل إلى أنى أحبك .. وأحيانا مجرد النظر إليك يؤلمنى ،وهذا يدل على أنى لا أحبك حقا .. فحينما تحب إنسانا لا ترى فيه أى عيب ، وأنا أرى فيك عيوبا كثيرة .

فاسيلى : ستحبيننى حقا .. لا تقلقى ، فسأفعل المستحيل لأصل إلى ذلك إذا أنت فقط قلت نعم . لقد كنت أراقبك ما يزيد عن العام وأستطيع أن أرى بوضوح أنك فتاة طيبة ، صارمة مع نفسك غير مستبدة برأيك .. ولقد أحببتك حبا عميقا .

(تظهر فاسيليا فى النافذة العليا فى أبهى زينتها وتسترق السمع قد اتكأت على حافة النافذة) .

ناتاشا : حسنا أنت تقول إنك تحبنى .. فما قولك فى أختى ؟

فاسيلى (مرتبكا) :أوه .. إنها لا تعنى شيئا بالنسبة إلى ، فهناك كثيرات من نوعها .

لوقا : لا تهتمى بهذا الأمر يا فتاتى ، حينما لا يجد الانسان خبزا فإنه يأكل حشيش الأرض .

فاسيلى (حزينا) :إنى أطلب منك أن تقاسى معى .. فحياتى مريرة ، إنها كحياة الذئب الجائع ، إنها خالية من كل المتع .. إنى أحس

وكأنى فى مستنقع آسن ، كل ما حولى متعفن ، ولا شىء يحفظنى من التردى إلى أسفل . ولقد ظننت أختك تختلف عمن حولى . فلو لم تكن على هذا الجشع للمال لفعلت المستحيل من أجلها . ولكن كان يجب أن تكون لى وحدى . ولكنها تبحث عن شىء آخر . إنها تبحث عن المال والحرية .. حرية اللهو مع الرجال إنها لا تستطيع أن تعاوننى .. أما أنت .. فإنك مثل شجرة الصنوبر تشوك من يلمسها ولكنها تعين من يستند إليها .

لوقا : إذا أردت نصيحتى يافتاتى .. فتزوجيه . فلا بأس به . إنه شخص طيب . ولكن عليك أن تذكريه دائما بأنه شخص طيب حتى لا ينسى ذلك ، إنه سيصدقك إذا قلت له دائما : « إنك شخص طيب يا فاسيلى ، لا تنسى هذا ! » .. ومن جهة أخرى فإلى أى مكان آخر يمكنك أن تذهبى ؟ أنت تعلمين أن أختك حيوان لئيم مفترس ، أما زوجها فما من صفة يمكن أن تصور ما هو عليه من شر . وهذه الحياة هنا .. إنها لن تقودك إلى شىء ، ذى قيمة .. أما فاسيلى فهو مخلص وهو يأمل فى أشياء .

ناتاشا : أنا أعلم أنه لا يوجد مكان آخر ألجأ إليه .. لقد فكرت فى هذا . كل ما فى الأمر أنى لا أثق فى أى إنسان . ولكنك على حق ، ليس أمامى مكان آخر أذهب إليه —

فاسيلى : إذا بقيت هنا فأمامك طريق واحد للحياة .. ولكنى لن

أدعك تسيرين فيه .. إنى أفضل أن أقتلك .

ناتاشا :ها أنتذا تريد قتلى وأنا لم أصبح زوجتك بعدا

فاسيلى (يحوطها بذراعيه) : كفى ياناتاشا . فلننته من هـذا الحديث !

ناتاشا (تقترب منه): سأقول شيئا واحدا يافاسيلى ..و ليكن الله شهيدا على ما أقول .. إذا ضربتنى أو أسأت إلى بأى صورة ولو مرة واحدة .. فلن أضيع عمرى معك .. عندها سأشنق نفسى أو —

فاسيلى : لتقطع يدى قبل أن تمسك بسوء !

لوقا : ثقى بكلامه ياعزيزتى .إن حاجته إليك أكثر من حاجتك إليه .

فاسيليا (من النافذة) : تهانىّ على النهاية السعيدة !

ناتاشا : يا إلهى .. لقد عادوا ورأونا .. أوه فاسيلى !

فاسيلى : مم تخافين ؟ ليس هناك من يجرؤ على لمسك .

فاسيليا : لا تخافى ياناتاشا فلن يضربك .. إنه لا يعرف كيف يضرب ، ولا كيف يحب .. أنا أعرفه .

لوقا (فى صوت منخفض): أوه ، يا لها من إمرأة كالحية الرقطاء.

فاسيليا : إنه شجاع فى الكلام فقط — (يدخل كستليوف) .

كستليوف : ناتاشا .. ماذا تفعلين هنا أيتها المتسكعة ؟ تنشرين الفضائح ؟ وتشكين من أسرتك بينما براد الشاى لم يعد بعد والمائدة

لم تنظف ؟

ناتاشا : ولكنكم قلتم إنكم ستذهبون إلى الكنيسة .

كستليوف: ما نفعله ليس من شأنك ! عليك أن تقومى بعملك وتنفذى ما يطلب منك !

فاسيلى : اخرس ! إنها لم تعد خادمتك منذ اليوم .. لا تذهبي يا ناتاشا.. ولا تفعلى شيئا !

ناتاشا : لا تصدر أوامر أنت كذلك فلم يحن الوقت بعد .(تخرج)

فاسيلى (لكستليوف) : كفى لقد آذيتم الفتاة بما فيه الكفاية .. أما الآن فإنها لى . .

كستليوف : لك ؟ ومتى اشتريتها ؟ وكم دفعت فيها ؟ (فاسيليا تضحك بصوت مرتفع) .

لوقا : اذهب يا فاسيلى .

فاسيلى : احترسوا أيها الضاحكون فسيأتى وقت تبكون فيه !

فاسيليا : أواه .. ياللهول ! لقد أرعبتنى !

لوقا : اذهب يا فاسيلى . ألا ترى إنها تريد إثارتك لتفقدأعصابك؟

فاسيلى : هكذا ؟ لست أنا ! لتذهب روحى إلى الجحيم إذا استطعت الوصول إلى ما تريدين !

فاسيليا : بل فلأذهب أنا إلى الجحيم إذا لم أصل إلى ما أريد يا فاسيلى !

فاسيلى (يهددها بقبضة يده) : سوف نرى ! (يخرج)

فاسيليا (وهى تختفى من النافذة) : سأعد لك زفافا رائعا !

كستليوف (متجها إلى لوقا): ماذا ستفعل أيها العجوز ؟

لوقا : لا شىء أيها العجوز ـــ

كستليوف : حقا .. لقد سمعت أنك سترحل ؟

لوقا : نعم .. لقد حان وقت الرحيل .

كستليوف : إلى أين ؟

لوقا : إلى حيث يقودنى أنفى !

كستليوف : فهمت .. تتشرد هنا وهناك .. يبدو أنك لا تجد الراحة فى الاستقرار فى مكان واحد .

لوقا : هذا الاستقرار للأحجار ، حتى أن الناس تقول إن الماء نفسه لا يجرى تحت الحجر .

كستليوف : إننا لا نتحدث عن الأحجار .. إن على الانسان أن يعيش فى مكان واحد. فغير معقول أن يعيش الناس مثل الصراصير زاحفين كل مكان .. يجب على الإنسان أن يلزم مكانه .. لا أن يضرب فى الأرض دون مبرر .

لوقا : وما رأيك إذا كان مكان الإنسان هو كل مكان ؟

كستليوف : حينئذ يكون متشردا لا فائدة منه .. يجب على الإنسان أن يكون مفيدا ، عليه أن يعمل ـــ

لوقا : هل تعنى ما تقول ؟

كستليوف : نعم . حقـــا . إنى أتساءل ما الناسك ؟ .. إن الناسك ، فيما سمعت أجنبى غريب لا يشبه سائر النـاس .. فإذا كان غريبـا حقا ،وإذا كان يعلم شيئا أو تعلم شيئا لا فائدة منه لأى مخلوق.. قد يكون فيما يعلمه بعض الحقيقة — ولـكن ليست كل حقيقة مفيدة .. فليحتفظ بما يعلمه لنفسه وليمسك لسانه لأن الناسك الحق لا يتكلم ..أو هو يتكلم بحيث لا يفهمه أحد . إنهلا يبغى شيئا ولا يهتم إلا بأموره ولا يثير المشاكل دون مبرر ، فليس يعنيه فى شىء كيف يعيش الناس .. فليحيى حياة خيرة فىالغابات والأحراش بعيدا بحيث لا يراه أحـد . فليس عمــــله أن يتدخل فى كل شىء وينتقده بل أن يصلى من أجل الناس جميعا.. من أجل آثامهم الدنيوية ، آثامى وآثامك، ومن أجل كل شىء .. وهو لهذا يطرح وراءه كل الغرور الدنيوى حتى يستطيع التفرغ للصلاة .. هذا هو الناسك !(يصمت قليلا) فأى نوع من النساك أنت ؟ إنك لا تملك جواز سفر بينما الرجل الفاضـل يجب أن يكون معه جواز .. فكل الأخيـار معهم جـواز سفر .. نعم .

لوقا : هناك ناس ، وهناك مجرد رجال بسطاء .

كستليوف : لا تحاول أن تكون ظريفا.. لا تكلمنى بالألغاز .. فأنا لست أكثر منك غباء .. ماذا تقصد بالتفريق بين الناس والرجال ؟

لوقا : ما هذا لغزا . إن الذى أعنيه أن هنـــاك نوعين من التربه ،

نوعا غير صالح للزراعة بتاتا، وآخر خصبا كل ماتزرعه فيه ينمو..
هذا هو كل الفرق .

كستليوف : حسنا وما معنى هذا ؟

لوقا : لنأخذك أنت على سبيل المثال .. إذا قال لك الله عز وجل: «كن رجلا يا كستليوف ، فلن يحدث كلامه أى أثر فيك .. فإنك ستظل كما أنت إلى أن تموت .

كستليوف : يبدو أنك لا تعلم أن لزوجتي عما شرطيا .. فإذا أنت —
(تدخل فاسيليا) .

فاسيليا : هيا ياكستليوف لنتناول الشاى .

كستليوف (للوقا): اسمع ياهذا .. اخرج من هنا ! ارحل عن المنزل !

فاسيليا : نعم ، أيها العجوز ، ارحل ، فإن لسانك أطول من اللازم .. ومن يدرى فلعلك هارب من السجن.

كستليوف: إذا رأيت أثرا لك بعداليوم فسأتخذ خطوات إيجابية!

لوقا : ستنادى عمك ؟ ناده . قل له إنك أمسكت بهارب من السجن فلعله ينال مكافأة .. قدرها ثلاثة كوبكات . (يعود بوبنوف إلى الظهور فى النافذة السفلى)

بوبنوف : ماذا هناك ؟ ما الذى يباع بثلاثة كوبكات ؟

لوقا : إنه يهدد ببيعى أنا !

فاسيليا (لكستليوف): هيا بنا .

بوبنوف : بثلاثة كوبكات ؟.. احترس أيها العجوز، فإنهم سيبيعونك من أجل كوبك واحد !

كستليوف (لبوبنوف): ما أشبهك بابليس فى تدخلك الدائم فى كل شيء .

فاسيليا (وهى خارجة) : يبدو أن العالم قد أصبح مليئـــا بالمجرمين والمشبوهين .

لوقا : أرجو أن تستمتعا بالشاى !

فاسيليا (ناظرة خلفها) : أمسك لسانك أيها المتشرد القـذر ! (تختفى هى وكستليوف من عند الممر)

لوقا : سأرحل الليلة من هنا .

بوبنوف : خيراتفعل، فالأفضل أن يرحل الإنسان قبـــل أن تفوت الفرصة .

لوقا : أصبت .

بوبنوف : أنا أعرف قيمة ما أقول ، فلقد أنقذت نفسى مرة من النفى إلى سيبريا برحيلى فى الوقت المناسب .

لوقا : حقا ؟

بوبنوف : هذا هو الواقع ،هاك ماحدث، فقدصاحبت زوجتى صانع فراء ويجب أن أعترف أنه كان صانعـا ماهرا ، كان بارعا فى دبغ جلود الكلاب حتى تبدو وكأنها فراء ثعالب، وكذلك كان يحول جلود القطط إلى فراء الـكنجرو ،وكل أنواع الفراء . لقد كان بارعا حقا. صاحبت زوجتى هذا الرجل و توثقت الصلة بينهما حتى أصبحت أخشى أن يدسا لى السم فى أية لحظه ، أو أن يتخلصا منى بطريقة

أخرى .. فأخذت أضرب زوجتي ، وأخذ صانع الفراء يضربني ، ولقد كان مقاتلا متوحشا حتى إنه نزع لي مرة نصف لحيتي وحطم أحد ضلوعي . واشتد بي الغضب ذات مرة فضربت زوجتي على رأسها بسيخ من الحديد.. وهكذا أصبحت المسألة حربا مستمرة بيني وبينهما. ولقد تأكدت أني لن أصل إلى أي نتيجة بالاستمرار فيها .. فقد كانا أقوى مني . فعقدت العزم على قتل زوجتي — وكنت أكاد أجن شوقا إلى تحقيق هذا العزم .. ولكني تنبهت في الوقت المناسب وزحلت بدل أن أقتلها .

لوقا : فكرة صائبة ..اتركهما معا يحولان الكلاب إلى ثعالب .

بوبنوف : كل ما يضايقني أن مصنعي كان مسجلا باسم زوجتي ، فأصبحت وأمسيت وإذا بي — كما تراني الآن — لا أملك شيئا.. ولو أن الواقع أني كنت سأسكر بثمن المصنع حتما .. فأنت ترى أني مدمن على شرب الخمر .

لوقا : صحيح ؟ آه .

بوبنوف : نعم .. إنه داء لعين حينما يتملكني أشرب بكل ما معي حتى لا يبقى على سوى جلدي .. ثم إنني كسول .. وليس في إمكانك أن تتصور مدى كرهي للعمل .

(يدخل ساتن والممثل وهما يتناقشان)

ساتن : طق ! لن تذهب من هنا .. إن المسألة ليست إلا خيـال حشاشين .. تعال هنا أيها العجوز .. ماهـذه الأفكار التى جعلت تلقنها لهذا الثرثار المحطم ؟

الممثل : إنك تكذب. قل له أيها الجد إنه كذاب . إنى سأذهب .. لقد حصلت اليوم على عمل ،فكنست الشارع دون أن أقرب الفودكا . ما رأيك فى هذا ؟ وهذه هى الثلاثون كوبكا وها أنذا فى وعيى .

ساتن : إنه جنون .. هذا كل مافى الامر — أعطنى هـذا المبلغ وسأسكر لك به أو أخسره فى القمار .

الممثل : اتركنى ! إنه للسفر .

لوقا (لساتن) : والآن لماذا تثبط همة هذا الرفيق المسكين ؟

ساتن : خبرنى أيها المشعوذ الذى تؤثره الآلهة .. أى مصير تخبئه لى النجوم ؟ .. لقد خسرت كل مامعى من نقود يا صاحبى .. فلا يزال هناك من هم أمهر منى فى الغش فى الورق .

لوقا : إنك شخص طيب ومسل يا ساتن .

بوبنوف : تعال هنا أيها الممثل . (يذهب الممثل إلى النـافذة ويجلس القرفصاء مواجها بوبنوف ويتحدثان فى صوت غير مسموع)

ساتن : فى أيام شبابى كنت مسليا جدا أيها العجوز .. ما أجمل تذكر تلك الأيام .. لقد كنت سعيدا محظوظا .. أرقص برشـاقة

وأمثل على المسرح ، وأحب أن أضحك الناس .. لقد كانت أياما رائعة .

لوقا : ما الذى جعلك تحيد عن الطريق القويم إذن ؟

ساتن : إنك شديد الفضول أيها العجوز .. تريد أن تعرف كل شيء .. لماذا ؟

لوقا : لأفهم طبيعة البشر ياعزيزى ، فأنا الآن أنظر إليك دون أن أفهم حقيقتك تماما .. فإنك مكتمل الرجولة وذكى يا ساتن .. فلماذا إذن فجأة ـ

ساتن : إنه السجن أيها العجوز . فلقد قضيت فيه أربعة أعوام وسبعة شهور .. وبعد السجن لا يجد الإنسان مكانا يذهب إليه .

لوقا : هكذا .. ولماذا سجنت ؟

ساتن : من أجل حقير قذر .. قتلته فى سورة غضب . وفى السجن تعلمت لعب الورق كذلك .

لوقا : وهل قتلت بسبب امرأة ؟

ساتن : بسبب أختى .. وكفاك إزعاجا فأنا لا أحب أن أستجوب .. ثم إنه قد مر على ذلك زمن طويل ، وأختى قد ماتت بعد هذه الحادثة بتسع سنوات .. لقد كانت أختى صغيرة ولطيفة .

لوقا : الحق أنك تستهتر بالحياة . إن الحداد كان منذ لحظه يصرخ هنا

ضراخا شديدا جدا ، لقد كان شيئا مخيفا .

ساتن : من ؟.. كلستش ؟

لوقا : نعم هو . لقد كان يصيح :« لا عمل .. لا شيء الا شيء ! »

ساتن : سوف يتعود على الأمر .. والآن إنى أتساءل ماذا سأفعل بنفسى ؟

لوقا (بهدوء) : انظر ، ها هو ذا آت (يدخل كلستش ببطء مطأطىء الرأس) .

ساتن : هيه أيها الأرمل ! لماذا تستسلم للحزن ؟ .. ماذا فى رأسك؟

كلستش : إنى أحاول التفكير فى الذى سأفعله بعد أن فقدت أدوات عملى .. لقد ابتلعت الجنازة كل شيء .

ساتن : خذها منى نصيحة ، لا تفعل شيئا .. دع نفسك لتصبح عالة على الدنيا بأوسع معانيها !

كلستش : أنت وهذرك .. إنى أخجل من الناس .

ساتن : انس ذلك .. فالناس لا يخجلون من تركك تعيش فى حال أسوأ من الكلب . فكر فيما يحدث لو توقفت أنت وأنا ومئات وآلاف غيرنا عن العمل .. الجميع هل تفهم ؟ .. إذا ما امتنع الجميع عن القيام بأى عمل فماذا سيحدث إذن ؟

كلستش : سيموت الكل من الجوع .

لوقا (لساتن) : يجب أن تنضم بافكارك هذه إلى جماعة الهاربين .. هناك فرقة دينية بهذا الاسم .

ساتن : أعلم . إنهم ليسوا مجانين أيها الجد.

(يسمع صياح ناتاشا من نافذة آل كستليوف) .

ناتاشا : ماذنبى ؟ .. أرجوك .. أرجوك .. ماذا فعلت ؟

لوقا (مذعورا): صوت كصوت ناتاشا .. أوه يارب !

(يسمع ضجيج وصراخ وأصوات أطبـــاق تتحطم صادرة من مسكن كستليوف) .

كستليوف (من خارج المسرح): يا كافرة .. يا فاجرة .

فاسيليا (من خارج المسرح) : انتظر حتى أقيدها .

ناتاشا (من خارج المسرح) : إنهم يضربوننى .. إنهم يقتلوننى !.

ساتن (يصيح فى النافذة): هاى .. أنتم هناك !

لوقا (يتحرك حائرا هنا وهناك) : يجب أن ننادى فاسيلى ــ أوه يارب!.. يا رفاق.. يا أصدقاءـــ

الممثل (وهو يجرى خارجا): سأحضره ـــ

بوبنوف . إنهم يضربونها الآن ضربا مبرحا ـــ

ساتن : هيا بنا أيها العجوز .. وإلا كنا من الشهود.

لوقا (وهو يتبع ساتن) . أنا لا أصلح شاهدا ــ لا ! .. لو أن فاسيلى يحضر بسرعة . (يخرج ساتن ولوقا)

ناتاشا (من خارج المسرح) : فاسيليا ! .. أختى.. فاسيـ ـــ

بو بنوف : لقد كمموها .. سأذهب لأرى .

(تخفت الضجه الصادرة من مسكن كستليوف منتقلة من الحجرة التى بها النافذة إلى الداخل .يسمع صوت لوقا وهو يصيح : «كفى ! كفى !» .. يرتفع صوت قوى لإغلاق باب بعنف فيقطـــع كل الضجيج كأنه فأس .. كل شىء هادىء على المسرح .. ضوء الشفق يغمر المكان) .

كلستش (جالسا بغير مبالاة على مركبة الثلج المقلوبة يفرك يديه بشدة ثم يبدأ فى غمغمة غـير واضحة فى بادىء الأمر) : ما العمل الآن؟ على أن أعيش ... (رافعا صوته) يجب أن يكون لى مكان أعيش فيه..أليس كذلك؟ وليس لدى هذا المكان ..ليس لدى شىء . أنا لا أملك سوى نفسى .. مجرد مخلوق وحيد لا يجد عونا من أحد . (يخرج متثـــاقلا مقوس الظهر . تمر لحظات سكون مريرة .. ثم تسمع ضجة خافتة مختلطة آتية من مكان بالممر ثم تأخذ فى العلو والإقتراب حتى يمكن تميـــيز أصوات الأشخاص خارج المسرح).

فاسيليا : أنا أختها ! دعنى !

كستليوف : بأى حق تتدخل ؟

فاسيليا : يا طريد السجون !

ساتن : ناد فاسيلى حالا ! أحكم الضرب يا جويتر !

(يسمع صوت صفارة بوليس ويندفع التترى داخلا ويده اليمنى مربوطة إلى رقبته) .

التترى : أى قانون هذا .. جريمة قتل فى وضح النهار ! (يدخل جويتر ويتبعه مدفديف) .

جويتر : آه ، لقد ضربته ضربة شديدة حقا !

مدفديف : كيف تجرؤ على ضرب الناس ؟

التترى : وأنت .؟ ما هو واجبك ؟

مدفديف (يجرى خلف جويتر) : قف .. أعطنى صفارتى . (يدخل كستليوف وهو يجرى) .

كستليوف : مدفديف ! أمسكه — اقبض عليه !

(تدخل كفاشنيا وناستيا من عند الناصية وهما تسندان ناتاشا التى تبدو مشعثة الشعر والملابس . ويتبعهن ساتن داخلا بظهره وهو يقاوم فاسيليا التى تلوح بيديها محاولة الوصول إلى ناتاشا وضربها. أليوشكا يقفز بمرح مجنون حول فاسيليا وهو ينفخ صفارة فى أذنيها ويصيح ويصرخ ، وتندفع خلفهم مجموعة من الرجال والنساء ممزقى الثياب).

ساتن (لفاسيليا) : إلى أين أنت ذاهبة أيتها البومة الناعقة ؟ —

فاسيليا : ابتعد عنى يا طريد السجون ! إنى سأمزقها إربا إربا ، ولو

كان فى هذا هلاكى أنا كذلك !

كفاشنيا (وهى تدفع ناتاشا بعيدا) : اهدئى يا فاسيليا . يجب أن تخجلى من نفسك وتكفى عن التصرف كحيوان مفترس .

مدفديف (وهو يمسك بساتن) : وأخيرا، ها أنذا أمسكتك !

ساتن : جوبتر ! أعطها لهم ! فاسيلى ! .. يافاسيلى ! (تقاد ناتاشا إلى كومة الأخشاب حيث تجلس بينما يتجمع الآخرون قرب الممر مستندين إلى الحائط الأحمر .. يندفع فاسيلى من الممر شاقا طريقه بذراعيه خلال الجمع فى سكون وقوة) .

فاسيلى : أين ناتاشا ؟ آه إنه أنت — (ينسحب كستليوف إلى ما وراء الناصية) .

كستليوف (من خارج المسرح) : مدفديف ! اقبض على فاسيلى ! يا جماعة ساعدوه فى القبض على فاسيلى ! فهو لص نشال .

فاسيلى : آه ، أيها الجدى العجوز ! (يعمل فاسيلى الضرب فى كستليوف بقبضة يده فيسقط الأخير على الأرض بحيث لا يظهر على المسرح سوى نصفه الأعلى . يندفع فاسيلى نحو ناتاشا)

فاسيليا : اصنعوا شيئا لفاسيلى ! أنتم كلكم أيها الناس الطيبون ، اضربوه . هذا اللص القذر !

مدفديف (يصيح فى ساتن) : لا تتدخل فيما لا يعنيك ! إنها مسألة عائلية ! وكلهم أقارب — فما دخلك أنت ؟ فمن أنت ؟

فاسيلى : ماذا فعلت بك ؟ هل طعنتك بسكين ؟

كفاشنيا : انظر ماذا فعل الوحوش ـ لقد أحرقوا قدمى الفتاة بالماء المغلى.

ناستيا : لقد صبوا إبريق الشاى عليها .

التترى : ربما وقع الإبريق عليها عفوا ـــ يجب أن تتأكدى . يجب ألا تتحدثى بما لا تعرفين .

ناتاشا (وهى على وشك الإغماء) : خذنى يافاسيلى ... اخفنى ـــ

فاسيليا : ياالله ! انظروا لقد مات . لقد قتلوه ـــ

(يتجمع الموجودون حول كستيلوف فى الممر ، ثم يـــترك بوبنوف الجميع ويتجه نحو فاسيلى)

بوبنوف (فى صوت منخفض) : اسمع يافاسيلى . إن الرجل العجوز — أنت تفهم — قد مات .

فاسيلى (ينظر إلى بوبنوف دون أن يفهم حرفا مما قال) : اذهب وناد من يأخذها إلى المستشفى ـ وسأعرف أنا كيف أتصرف معهم!

بوبنوف : لقد كنت أقول لك إن العجوز قد قتل —

(تتلاشى الضجة على المسرح كما تخمد النار يلقى عليها بالماء ، وتسمع أصوات تعجب تصدر بين حين وآخر فى طبقة صوتية منخفضة : «أحقا ؟» «هل علمت؟» «وبعد!» «فلنبتعد من هنا» . «أوه ! . ياللشيطان!» «والآن لتأخذ حذرك !» ثم يتضاءل عدد الموجودين شيئا فشيئا ...

يندفــع بوبنوف والتترى وناستيــا وكفاشنيا نحو جثة كستليوف .)

فاسيليا (تقوم من على الأرض وتصرخ) : لقـــد قتلوه ! .. قتلوا زوجى ! (فى صوت ظافر) ها هو ذا القاتل . فاسيلى هو الذى قتله . لقد رأيته يقتله .. أيها الناس الطيبون ، لقد رأيته بعينى رأسى .. وبعد يافاسيلى ؟ ما الذى ستقوله للبوليس ؟

فاسيلى (يترك ناتاشا) : ابتعدى عن طريقى ! (يحدق فى جثة القتيل ثم يوجه الكلام إلى فاسيليا) وبعـــد ألست سعيدة ؟ (يركل الجثة بقدمه) لقد نفق الخنزير العجوز ! وحصلت على أمنيتك. أليس الأفضل أن أقضى عليك أيضا ! (يندفع نحوهـا ولكن ساتن وجويتر يمنعـــانه بسرعة . تفر فاسيليـــا إلى الممر)

ساتن : عد إلى رشدك .

جويتر : هوه ! إلى أين أنت مندفع ؟ (تعود فاسيليا)

فاسيليا : والآن ماقولك ياصديقى العزيز فاسيلى ؟ إن الإنسان لايستطيع الإفلات من القدر . نـاد مفتش البوليس يامدفديف ! انفخ صفارتك !

مدفديف : لقد سرقها هؤلاء الفجرة !

أليوشكا : ها هى ذى . (ينفخ فى الصفارة .مدفديف يجرى خلفه.)

ساتن (يقود فاسيلى نحو ناتاشا) : لا تخف يافـاسيلى ! فقتل رجل أثناء شجار ليس بالشيء الخطير ولا يكلف كثيرا —

فاسيليا : اقبضوا على فاسيلى ! إنه القاتل ..لقد رأيته وهو يقتله !

ساتن : لقد لكمت العجوز عدة لكمات أنا نفسى . . . وهو لم يكن محتاجا إلى جهد كبير ليقضى ...اطلبنى شاهدا يافاسيلى .

فاسيلى : لست فى حاجة إلى شهود .. إن كل ما أريده هو إقحام فاسيليا فى الجريمة ،وإنى لفاعل هذا . فهى التى سعت إلى كل هذا وكانت تحرضنى دائما على قتل زوجها !

ناتاشا (فجأة وبصوت مرتفع) : أوه ، الآن فهمت كل شىء ! .. إذن فهذه هى الحكاية يافاسيلى ؟ ... ما أطيبكم ! إنهما مشتركان فى الأمر معا!هو وشقيقتى دبرا كل هذا.أليس كذلك يافاسيلى؟ وما تكلمت معى اليوم بهذا الأسلوب إلا لتسمع هى كل شىء .. ما أكرمكما ! .. إنها عشيقته ... كلكم تعلمون هذا — كل الناس يعرفونه، وكلاهما مذنب ! فهى التى حرضته على قتل زوجها ... لأنه كان عقبة فى طريقهما . وكذلك كنت أنا أيضا..ولهذ اشوهونى وآذونى —

فاسيلى : ناتاشا — ماذا تقولين ؟

ساتن : ياللشقاء .

فاسيليا : كذابة !إنها تختلق - أنا -إنه هو وحده، فاسيلى -هو الذى قتله !

ناتاشا : إنهما شريكان معا! إنى ألعنكما! ألعنكما معا

ساتن : هذه الأحداث ! احترس يافاسيلى فستكون أنت الضحية فى النهاية .

جويتر : هذا أكثر مما أستطيع فهمه .. ياإله السموات ، يالها من مشكلة!

فاسيلى : أحقا تعنين ما قلته ياناتاشا ؟ — هل تعتقدين حقـا أنى وإياها —

ساتن : فكرى جيدا ياناتاشا الطيبة —

فاسيليا (فى الممر) : لقد قتل زوجى أيها السيد.. فاسيلى اللص هو الذى قتله أيها المفتش . لقد رأيته وكلهم رأوه —

ناتاشا (تتحرك فى المكان كالتائهة وهى فى شبه غيبوبة) : أيها الناس الكرام ! لقد قتلته أختى وفاسيلى . استمع إلى أيها المفتش ! هذه المرأة ، شقيقتى علمت ـ وحرضت ـ عشيقها ـ هذا الرجل الملعون هناك ـ وقتلا الرجل معاً ! اقبضوا عليهما ـ حاكموهما . وخذونى أنا ايضا ـ خذونى إلى السجن ! أستحلفكم بالله خذونى إلى السجن !

« ستـــار »

الفصل الرابع

[نفس منظر الفصل الأول غير أن الحواجز التى كانت تكون حجرة فاسيلى قد رفعت فلم يعد للحجرة وجود . التترى مستلق فى مكانها وقد ظهرت عليه أمارات القلق وهو يئن بين آن وآخر . كما رفعت كتلة الخشب التى كانت عليها المطرقة حيث كان كلستتش يعمل . كلستتش جالس إلى المائدة يصلح « أكورديون » ويحاول عزف السلم الموسيقى . يجلس إلى الطرف الآخر من المائدة ساتن والبارون وناستيا وأمامهم زجاجة فودكا ، وثلاث زجاجات من الجعة ، وقطعة كبيرة من الخبز الأسمر . أما الممثل فقد اعتلى الفرن ويسمع وهو يتحرك ويسعل .

الوقت مساء والمكان مضاء بمصباح غازى موضوع فى وسط المائدة . الريح تصفر فى الخارج .]

كلستتش : نعم ، لقد هرب وسط تلك الفوضى .

البارون : اختفى من البوليس كما يفر الدخان من النار .

ساتن : هكذا يختفى المذنبون من وجه العدالة .

ناستيا : لقد كان العجوز طيبا . أما أنتم فلستم رجالا ، إنكم مجرد عفن !

البارون (يشرب) : فى صحتك ياصاحبة العصمة !

ساتن : نعم لقد كان شيخا طريفا حقا وقد وقعت ناستيا فى غرامه حتى أذنيها !

ناستيا : نعم لقد أحببته ، ولن أنكر هـــذا .. فقد كان يرى .. وكان يفهم كل شيء .

ساتن (ضاحكا) : والخلاصة أنه كان لبعض الناس كالخبز اللين بالنسبة للأهتم .

البارون (ضاحكا): أو كالضماد بالنسبة للجرح .

كلستش : لقد كان يشفق على الناس ،أما أنتم فلا شفقة فى قلوبكم .

ساتن : وماذا يفيدك إشفاقى عليك ؟

كلستش : إذا أنت لم تستطع الإشفاق على شخص فأنت قادر على إيذائه .

التترى (يجلس على فراشه ويهدهد ذراعه المجروحة كما لو كانت طفلا): لقد كان العجوز طيبا يسيطر حب القانون على روحه .. ومن كان هذا شأنه فهو طيب .. أما من فقد حب القانون فهو ضائع .

البارون : أى قانون ياحسن ؟

التترى : قانون من نوع آخر . إنك تعلم أى قانون هو .

البارون : أكمل .

التترى ألا تؤذى مخلوقا .. هذا هو القانون !

ساتن : إنه يسمى « قانون العقوبات الجنائية والاصلاحية »

البارون : وهو يسمى كذلك « قانون العقوبات الذى ينفذه حفاظ الأمن »

التترى : إنه يسمى القرآن بالنسبة الى .. أما قرآنكم فيسمى القانون .. يجب أن يكون فى كل روح نوع من القرآن .. نعم .

كلستش (وهو يجرب الأكورديون) : عليه لعنة الله ، انظروا إليه كيف

يصفر . إن حسن على حق إذ يجب علينا أن نحيا حسب القانون .. حسب الأناجيل —

ساتن : افعل أنت ذلك .

البارون : نعم، حاول أنت ذلك .

التترى : لما بعث محمد بالقرآن قال للناس: «هذا هو القانون! نفذوا تعاليمه» ثم تقدم الزمن وأصبحت الكتب السماوية غير كافية فى نظر بعض الناس .. سيظهر قانون جديد .. كل عصر جديد سيعطى قانونه الخاص .

ساتن : هذا حق .. لقد تقدم الزمن وأعطانا قانون العقوبات ، وهو قانون قوى لن يبلى بسرعة .

ناستيا (تضرب المائدة بكأسها) : لماذا أستمر فى الحياة معكم... هنا ؟إنى سأرحل ... سأرحل إلى أى مكان .. إلى نهاية العالم !

البارون : وهل سترحلين بدون حذاء ياصاحبة العصمة ؟

ناستيا : سأرحل ولو كنت عارية تماما !ولو اضطررت للزحف على أربع !

البارون : سيكون هذا منظراً لطيفا ياصاحبة العصمة ... وخاصة وأنت على أربع .

ناستيا : نعم إنى راغبة فى الزحف مسافة تكفى لئلا أرى وجوهكم بعد ذلك .. لقد اشمأزت نفسى من كل شىء .. من الحياة كلها .. من الناس أجمعين !

ساتن : عند رحيلك خذى الممثل معك ، فهو يستعد للرحيل هناك كذلك . فقد ترامى إلى علمه أنه على بعد نصف ميل من نهاية

العالم يوجد مستشفى يعالج الذين تسمم تركيبهم .

الممثل (يبرز رأسه من فوق الفرن) : أعضاؤهم ياأحمق !

ساتن : تعالج الذين تسمم تركيبهم من الكحول .

الممثل : وإنه لراحل ! نعم راحل .. فقط انتظر قليلا !

ساتن : من هو ياسيدى ؟

الممثل : أنا !

البارون : شكراً ياخادم الربة ... ماسمها ؟ ... ربة الدراما ، ربة الترجيديا ماذا كان اسمها ؟

الممثل : آلهة ياغبي ! إنها إلهة وليست ربه .

ساتن : لاخيس ... هيرا .. أفروديت ... أتروبوس — الشيطان وحده يعلم أيها . هل ترى الذى فعله العجوز يابارون ؟ إنه هو الذى أوصل الممثل الى هذه الحالة .

البارون : إن العجوز مغفل كبير —

الممثل : إنكم وحوش! إنكم جهلاء «ملبو مينية» ياإلهة التراجيديا ! إنكم أغبياء ! إنه لراحل وسترون « ارتعى أيتها العقول الغبية » هذا من قصيدة للشاعر «بيرانجير» — نعم سيجد لنفسه مكانا ليس فيه .. ليس فيه —

البارون : ليس فيه شيء ؟

الممثل : نعم لاشيء ! هذا الجحر سيكون قبرى .. إنى أموت من المرض والضعف ! لماذا تعيشون ؟ .. لماذا ؟

البارون : أنت ياإدموند كين !! ياعبقرى السكر ! .. كف عن هذا النواح

الممثل : ولكنى لن أكف عن النواح على حياتكم ! سأنوح !

ناستيا (ترفع رأسها عن المائدة وتبسط ذراعيها) : نح كما تريد ! نح حتى يسمعوك !

البارون : وما الحكمة فى هذا ياصاحبة العصمة ؟

ساتن : اتركهما يابارون ! ليذهبا إلى الجحيم ! ولينوحا كما يشاءان ! وليشجا رأسيهما ! فى هذا حكمة كبيرة !! ابتعد عن طريق الناس كما كان العجوز يقول . آه لقد كان كالخميرة ينفش جماعتنا هنا ...

كلستش : حثهم على الرحيل إلى مكان ما ، ولكنه لم يرشدهم إلى الطريق .

البارون : إن العجوز محتال .

ناستيا : كذاب ! إنك أنت المحتال .

البارون : صه .. ياصاحبة العصمة .

كلستش : لقد كان العجوز يكره الحقيقة ويتعنت ضدها .. وهو على صواب فماذا تفيدنا الحقيقة إذا كنا ، حتى بدونها ، لانستطيع التنفس ؟ فهذا هو التترى كسرت ذراعه فى العمل وسوف يضطر إلى بترها على ما أعتقد .. أليس هذا إحدى الحقائق ؟

ساتن (يضرب المائده بقبضة يده) : كفى أيها الوحوش البلهاء ! كفاكم حديثا عن العجوز ! (فى صوت أكثر هدوءا .) إنك أسوأ الجميع حالا يابارون ، فأنت لا تفقه شيئا . . . وتكذب . لم يكن العجوز محتالا . ثم ماهى الحقيقة ؟ .. إن الحقيقة هى الإنسان نفسه ! لقد أدرك هو ذلك ، أما أنت فلا تفهم شيئا . إنك غبى مثل قالب

الطوب .. أما أنا فأفهم العجوز ، نعم أنا أفهمه .. لقد كان يكذب لاشك ، ولكن كذبه كان شفقة منه عليكم .. عليكم لعنة الشيطان أجمعين ! هناك عدد كبير من الناس يكذبون بدافع الشفقة على الآخرين — أنا أعرف هذا — وقد قرأت عنه ، إنهم يكذبون بطريقة جميلة ومثيرة وكأنهم ملهمون .. فهناك نوع من الكذب يهدىء ، ويجعل الإنسان يرضى بمصيره . فهو يبرر مثلا ذلك الحمل الثقيل الذى كسر ذراع العامل ، ويمنع الآخر من الاحتجاج على الموت جوعا — أنا أعرف أنواع الأكاذيب ! نوعان من الرجال يحتاجان إلى الكذب ، ضعاف الروح ، وأولئك الذين يعيشون من كد الآخرين ، فالضعاف يستمدون من الكذب قوة ، أما المستغلون فهم يتخذون الكذب ستاراً لخداع غيرهم . ولكن الرجل المستقل ، سيد نفسه ، الذى ليس عالة على أحد ... هذا الرجل يستطيع أن يستغنى عن الكذب .. لأن الكذب عقيدة العبيد والأسياد ، أما الصدق فهو إله الرجل الحر .

البارون : برافو ! رائع ! .. إنى أوافقك .. إنك تتحدث وكأنك رجل مهذب .

ساتن : ولماذا لا يتحدث الغشاشون أحيانا بلغة الشرفاء ؟ .. مادام الشرفاء يتحدثون بلغة الغشاشين ؟ إيه ، لقد نسيت أشياء كثيرة ، ولكنى لا أزال أذكر القليل . لقد كان للعجوز عقل راجح وكان له علىّ تأثير الحامض فى قطعة النقود القديمة القذرة . لنشرب نخب صحته املأى الكشوس ..

(تملأ ناستيا كأساً من الجعة وتناولها لساتن الذى يواصل حديثه مبتسما)

ساتن : لقد كان العجوز يعيش من داخل نفسه ، وينظر إلى كل شىء خلال نفسه . سألته : مرة « لماذا يعيش الناس أيها الجد ؟ » (يحاول تقليد صوت لوقا وطريقته فى الحديث) « يعيشون فى انتظار حدوث شىء أفضل ياصاحبى ؛ خذ النجارين مثلا ، إنهم يعيشون كلهم حياة قذرة تافهة ، ولكن سيأتى يوم يولد فيه نجار لم تشهد له الأرض مثيلا .. ليس له نظير ، فيغمر ضوؤه الجميع ، ويقلب صناعة النجارة رأسا على عقب فاذا بها تتقدم عشرين عاما فى قفزة واحدة . وهذا شأن سائر الناس .. هذا شأن الحدادين وصانعى الأحذية وغيرهم من العمال ... والفلاحين كذلك . وحتى الأسياد كلهم يعيشون فى انتظار حدوث شىء أفضل .. يعيشون مائة عام ، وربما أكثر من ذلك فى انتظار ظهور رجل أفضل ممن حولهم .. »

(تحدق ناستيا فى ساتن ويكف كلستش عن معالجة « الأكورديون » وينصت . ينقر البارون بأصابعه على المائدة وقد أحنى رأسه على صدره . يحاول الممثل الهبوط بحذر من فوق الفرن إلى الفراش المجاور .)

« الجميع ، الجميع ياصديقى يعيشون فى انتظار حدوث شىء أفضل . ولهذا وجب علينا أن نحترم كل إنسان . . . فمن يدرى ماذا يكمن فى هذا الرجل ؟ لماذا ولد ؟ وماذا يستطيع أن يفعل ؟ ربما يكون قد ولد ليسعدنا جميعا ويجمل حياتنا . وعلينا أن نحترم

الصغار بوجه خاص، فالصغار فى حاجة إلى مجال فسيح . لا تعترضوا سبيل حياتهم . بل كونوا رحماء بهم . »

البارون (مفكراً) : هيه .. فى انتظار حدوث شيء أفضل ؟ إن هذا يذكرنى بأسرتنا، وهى أسرة عريقة يرجع تاريخها إلى عهد الامبراطورة العظيمة « كاترين » . كانوا كلهم نبلاء ورجال حرب ! جاء أجدادهم من فرنسا ، وخدموا الحكومة وظلوا يرتقون ويرتقون . وقد وصل جدى « جوستاف ديبل » إلى منصب خطـــير فى عهد الامبراطور نيقولا الأول .. وكانت لدينا ثروة طائلة ، ومئات من العبيد ... والخيل ... والطهاة ـــ

ناستيا : كذاب ! لم يكن هناك شيء من هذا !

البارون (يهب واقفا) : ماذا ! ؟ وبعد ـــ ؟

ناستيا : لم يكن هناك شيء !

البارون (صائحا) : قصر فى موسكو ! وآخر فى سانت بطرسبورج ! وعربات عليها شارة الأسرة !

(يأخذ كلستش « الأكورديون » وينتحى جانبا ليراقب ما يدور حوله)

ناستيا : لم يكن هناك شيء !

البارون : اخرسى ! وعشرات من الخدم والحشم !

ناستيا (متشفية) : لم يكن هناك شيء !

البارون : سأقتلك .

ناستيا (مستعدة للهرب) : ولا عربة واحدة !

ساتن : كفى يا ناستيا ! لا تغيظيه .

البارون : انتظرى . . . أيتها الحقيرة ! لقد كان جدى —

ناستيا : ولم يكن هناك جد ! لم يكن هناك شىء على الإطلاق !

(يضحك ساتن)

البارون (يجلس على المقعد الطويل مجهداً من انفعالاته المتتاليه وصياحه): ساتن،قل لهذه الفاجرة . . . إنك تضحك أنت أيضاً ؟ حتى أنت لا تصدقنى ؟ (يضرب المائدة بقبضة يده صائحا فى يأس) لقد كان هناك كل ما قلته . . عليكم لعنة الشيطان !

ناستيا (بانتصار) : أها ،إنك تصرخ الآن ؟ هل تفهم،الآن كيف يتألم الإنسان حينما لا يصدقه من حوله ؟

كلستش (وهو يعود إلى المائدة) : لقد ظننت أنه ستحدث معركة .

التترى : آه — آه ، ما أغبى الناس ،إنهم أشرار .

البارون : أنا لا أسمح لأحد بإهانتى ! فلدى إثباتات . . . وثائق.. لعنة الله عليها !

ساتن : احتفظ بهـا لنفسك ! وانس كل ما يتعلق بعربات جدك . . فعربات الماضى لن توصلك الآن إلى أى مكان .

البارون : ولكن كيف تجسر هى ؟ —

ناستيا : تصوروا ! كيف أجسر أنا !

ساتن : أنت، إنها قد تجاسرت بالفعل . إنهـا ليست أسوأ منك حالا ؟ بالرغم من أنه لم يكن لها فى ماضيها ، بالتأكيد — لا عربات ولا

جد ،ولا حتى أب وأم .

البارون (وقد بدأ يهدأ) : لعنة الله عليك ..إنك تستطيع أن تفكر بهدوء، أما أنا فيبدو أنه ليست لدى أية شخصية .

ساتن : ابتع لنفسك واحدة ؛فهي مفيدة (فترة من الصمت) هل ذهبت إلى المستشفى ياناستيا ؟

ناستيا : لماذا ؟

ساتن : لتزوري ناتاشا ؟

ناستيا : ألم يفت أوان هذا السؤال ؟.. لقد غادرت ناتاشا المستشفى منذ مدة طويلة . غادرتها .. واختفت . ولم يرها أحـد بعد ذلك فى أى مكان .

ساتن : لابد أنها تبخرت .. اندثرت .

كلستش : كم هو لطيف أن نرى من الذى سيدمر زميله ، أهو فاسيلى الذى سيودى بفاسيليا أم العكس . .

ناستيا : ستعرف فاسيليا كيف تنجو بنفسها — إنها ماهرة .. أما فاسيلى فسيذهب إلى سيبريا .

ساتن : إن عقوبة القتل أثناء العراك هى السجن فقط .

ناستيا : هذا مؤسف، فإن سيبريا تلائمه أكثر من السجن . إنى أتمنى أن تشحنوا جميعا إلى سيبريا . . . أو أن يلقى بكم فى جحر كالقاذورات.

ساتن (فزعا) : هل جننت ؟

البارون : إنى سأدمى أنفها ـ لوقاحتها .

ناستيا : حاول . . . المسنى فقط .

البارون : سأفعل بكل تأكيد .

ساتن : اتركها . لاتلمسها . لاتحاول إيذاء إنسان . إنى لا أستطيع إبعاد ذلك العجوز وأفكاره من رأسى (يضحك) لاتؤذ أى إنسان ! ولكنى أوذيت ذات مرة أوذيت بضربة واحدة تركت اثرها فى حياتى كلها ! فماذا يجب على أن أفعل ؟ هل أصفح ؟ لا ، ولو قدمت حياتك ثمنا لها ، أبداً !

البارون (مخاطبا ناستيا) : يجب أن تفهمى جيداً أنك لست من مستواى . إنك.. إنك قذارة تحت قدمى .

ناستيا : أيها المخلوق التافه الذى لا يصلح لشىء ! ماذا ؟ إنك تعيش عالة على كما تعيش الدودة على التفاحة . (ينفجر الرجال جميعا ضاحكين)

كلستش : تفاحة صغيرة جميلة ، آه يالك من خبيثة .

البارون : ليس فى إمكان أحد مخاصمة هذه البلهاء !

ناستيا : أتضحك ، أيها المنافق ، هل تظن أن فى الأمر مايضحك ؟

الممثل (فى وقار) : أعطهم ما يستحقونه من إهانات وشتائم .

ناستيا : لو كان لدى القوة لحطمتكم جميعا هكذا (تمسك بكوب من على المائدة وتحطمه على الأرض) .

التترى : ولماذا تحطمين الكوب ؟ ما أغباك !

البارون (ناهضا) : سأعلمها الأدب !

ناستيا (تجرى ناحية باب الردهة) : لتذهب إلى الجحيم .

ساتن (لناستيا) : هاى ؟ كفى جريا ! ممن تخافين ؟ وفيم كل هذا ؟

ناستيا :وحوش ! إنى أتمنى موتكم جميعا ! أيها الوحوش! (تختفى فى الردهة)

الممثل (بوقار): آمين .

التترى : أوه ! إن المرأة الروسية شريرة ! متحررة أكثر من اللازم بوليس هناك ما يوقفها عند حدها ! أما المرأة التترية فعلى العكس من ذلك، إنها تعرف القانون وتحترمه .

كلستش : إنها فى حاجه إلى علقة حامية .

البارون : يالها من كلبه !

كلستش (يجرب الأكورديون): لقد انتهيت من إصلاحه ولكن لا أثر لصاحبه لعله وقع فى مشكلة جديدة .

ساتن : خذ كأسا .

كلستش : شكراً ! ولقد حان وقت النوم كذلك .

ساتن : هل أخذت تألفنا ؟

كلستش (يجرع الكأس ويذهب إلى فراشه فى الركن) : لا بأس فالناس متشابهون فى كل مكان ، فى بادىء الأمر لا تلاحظ ذلك ، ثم تنظر إليهم جيداً فاذا بهم كبقية الناس لا يختلفون عنهم فى شىء .

(يفرش التترى ثوبا على فراشه ويركع ثم يبدأ فى الصلاة)

البارون (يخاطب ساتن مشيرا إلى التترى) : انظر .

ساتن : دعه وشأنه. إنه مخلوق طيب (يضحك) تعتريني اليوم نوبة من الطيبة ، الشيطان وحده يعلم سببها .

البارون : إنك دائما طيب حينما تسكر .. طيب وذكى .

ساتن : حينما أسكر أحب كل شيء . نعم ياسيدى . أهـــو يصلى ؟ حسنا . للإنسان أن يؤمن أو يكفر ، فهذا شأنه وحده . إن الإنسان حر فيما يفعل ... وهو نفسه الذى يدفع الثمن . ثمن الايمان وثمن الكفر ، ثمن الحب وثمن الذكاء ، وهذا هو سر حريته . الإنسان هذه هى الحقيقة . ما هو الإنسان ؟ إنه ليس أنت ولا أنا ولاهم .. لا ، إنه أنت ، وأنا ، وهم والعجوز ، ونابليون ، ومحمد . الكل فى واحد . (يخطط بيديه فى الهواء شكل إنسان) أفاهم أنت ؟ إنه شيء هائل ! فيه كل البدايات وكل النهايات . كل شيء موجود فى الإنسان ، وكل شيء موجود من أجل الإنسان . لاموجـــود إلا الإنسان ، وكل ماعداه فمن صنع يديه وعقله . الإنسان ! ما أروعه ! فى اسمه رنة زهو عجيبة ! الإنسان ! يجب أن نحترم الانسان لا أن نشفق عليه أو نحط من قدره .. أن نحترمه ، هـذا هو واجبنا . فلنشرب نخب الانسان يابارون ! (ينهض) ما أجمل أن يشعر الواحـــد منا بأنه إنسان . أنا سجين قديم وقاتل وغشاش ... هـذا كله صحيح . وحينما أســـير فى الشارع ينظر الناس إلى نظرهم إلى شيء شاذ .. يتقدمونني ثم يديرون نظرهم إلى ... وكثيراً مايقولــون لى : «يامجرم ! يانصاب ! اشتغل ! » أشتغل لماذا ؟ لأحصل على مطالب جسمى وأشعر بالرضى ؟ (يضحك) أنا دائما أحتقر من غاياتهم الأولى فى الحياة هى الشعور بالرضى . إن كل هـــذا لاقيمة له يابارون .. لاقيمة له ! فالإنسان أسمى من هذا ! الإنسان أسمى من الرضى !

البارون (هازا رأسه) : إنك تستطيع أن تفكر تفكيراً منطقيا . وهـذا شيء جميل .. لابد أنه يشرح صدرك . أما أنا فلا أستطيع أن أفعل ذلك .. لا أستطيع التفكير المنظم (ينظر حوله ثم يتحدث فى صوت خافت وبحذر) هل تعلم يا صديقى العزيز أنى أشعر بالفزع أحيانا ؟ أشعر بالذعر ؟ لأنه ماذا سيكون مصيرى ؟

ساتن (يسير جيئة وذهابا) : هراء ، ما الذى يخيف الانسان ؟

البارون : اسمع ، منذ أذكر نفسى وأنا أشعر بنوع من الضباب يغشى رأسى ويمنعنى من تفهم أى شيء . ولدى إحساس أخرق كأنى لم أفعل شيئا فى حياتى كلها سوى تغيير ملابسى . ولكن لماذا ؟ هذا مالا أستطيع معرفته . لقد تعلمت ، وارتديت ملابس كلية النبلاء — ولكن ماذا تعلمت ؟ لا أذكر . ثم تزوجت ... امرأة غير صالحة وارتديت ملابس العرس السوداء ثم روبا فضفاضا — لماذا ؟ لا أعلم . ثم اضعت ثروتى واضطررت إلى ارتداء سترة رمادية قديمه وسراويل باهته — ولكن كيف أفلست ؟ لم ألاحظ هذا . ثم حصلت على وظيفة حكومية وارتديت زيا رسميا وقبعة عليها شارة خاصة — ثم اختلست أموال الحكومة فوضعوا على جسدى ملابس السجن . وأخيراً لبست هذه . حدث كل ذلك كأنى فى حلم . أليس ذلك غريبا ؟

ساتن : إنه سخيف أكثر منه غريبا .

البارون : نعم .. أنا كذلك أرى أنه سخيف لابد أن يكون هناك سبب ولدت من أجله — ألا تعتقد ذلك ؟

ساتن (ضاحكا) : من المحتمل ، فالانسان يولد لينتظر حدوث شيء

أفضل . (يهز رأسه)

البارون : أين ذهبت ناستيا هذه ؟ خير أن أذهب وأبحث عنها ؛ فهى على كل حال — (يخرج فترة من الصمت)

الممثل : ياتترى (فترة من الصمت) ياحسن . (يلتفت التترى إليه) صل . . . من أجلى .

التترى : ماذا ؟

الممثل (فى صوت أكثر انخفاضا) : صل . . من أجلى.

التترى (بعد فترة صمت) : صل أنت .

الممثل (ينزل مسرعا من على الفرن ويسير إلى المائدة ويصب لنفسه كأسا من الفودكا بيد مرتعشة ويجرعها ثم يسرع إلى الردهة وهو يكاد يجرى) . إنى ذاهب .

ساتن : هاى .. ايها المغفل إلى أين أنت ذاهب ؟ (يصفر)

(يدخل مدفديف مرتديا ستره نسائيه مُضرّبة كاللحاف ومعه بوبنوف وقد ظهرت عليهما علامات سكر خفيف. يحمل بوبنوف ربطة من الكعك فى إحدى يديه وفى الأخرى كمية من السمك المدخن . وقد وضع تحت ذراعه زجاجة فودكا بينما ظهرت زجاجة أخرى من جيبه .)

مدفديف : إن الجمل نوع من . . . الحمير ولكن بدون اذنين .

بوبنوف : دعك من هذا .. فأنت نفسك من نوع الحمير .

مدفديف : الجمل ليست له اذنان ... وهو يسمع بمنخره .

بوبنوف (لساتن) : يا صديقى لقد كنت أبحث عنك فى جميع الحانات . خذ زجاجة فيداى ممتلئتان .

ساتن : ضع الكعك على المائدة وبذلك تخلو إحدى يديك .

بوبنوف : يالها من فكرة ! ياسلام ! انظر أيها الشرطى — هاك رجلا ذكيا — أليس كذلك ؟

مدفديف : المجرمون كلهم أذكياء ... أنا أعرف هذا . إنهم لا يستطيعون العمل بدون عقول . أما الرجل الطيب فقد يكون غبيا ومع ذلك يظل طيبا ، ولكن الرجل الشرير يجب أن يكون ذكيا — بالتأكيد . أما عن الجمل فأنت مخطىء فهو دابة من دواب الحمل ولا قرون له . . ولا أسنان —

بوبنوف : أين الجميع ؟ لم لا يوجد هنا أى انسان ؟ هاى أنتم اظهروا ! أنتم جميعا ضيوفى ! من الذى هناك فى الركن ؟

ساتن : متى سينفذ ما معك من نقود فى السكر يافظيع ؟ !

بوبنوف : حالا . فقد ادخرت هذه المرة مبلغا صغيراً . جويتر ! أين جويتر ؟

كلستش (سائراً إلى المائدة) : لقد خرج .

بوبنوف . بر .. ررا فيدو ! برلين برلين برلين ! أيها الديك الرومى لا تلبح ! لا تتكا كى ! اشربوا واستمتعوا اخرجوا من أحزانكم ! إنى أدعوكم جميعا . أنا أحب دعوة الناس . لو كنت غنيا لافتتحت حانة مجانية — هل تراهنون انى كنت افعل ذلك ؟ وكنت أزودها بفرقة موسيقيه ومغنين وأسمح للجميع بدخولها ليشربوا ويستمعوا للأغانى — ويرفهوا عن أنفسهم ، وكنت إذا رأيت رجلا

فقيرا دعوته إلى حانتى المجانية ! وأنت ياساتن كنت أجملك ـ
كنت أعطيك نصف ثروتى كلها فى ذلك الوقت !

ساتن : أعطنى كل مامعك الآن .

بوبنوف : كل ثروتى الآن ؟ خذهـا . هاك روبلا ـ وهـذا ربع ـ
وهذه بعض كوبكات ـ هذا كل مامعى !

ساتن : هذا جميل .. فستكون أكثر أمانا معى .. سأقامر بها .

مدفديف : أنا شاهد .. ، لقد أعطاك النقود كأمانة ... حتى متى ؟

بوبنوف : أنت ؟ إنك بعير . لسنا فى حاجة إلى شهود .

(يدخل أليوشكا حافى القدمين)

أليوشكا : لقد ابتلت قدماى يا أصدقاء .

بوبنوف : تعـال ! بلل صفارتك أيضا ! فهـذا سيصلح حالك ياصديقى
العزيز ... إنك تغنى وتعزف .. هذا بديع .. ، ولـكن يجب
ألا تشرب فالخمر مضرة بالإنسان ياعزيزى . حقا إنها مضرة .

أليوشكا : إن النظر إليك يؤيد قولك . فأنت لاتبدو إنسانا إلا عندما
تكون سكران . هل أصلحت لى «الأكورديون» ياكلستش ـ ؟

(يغنى وهو يرقص)

«لو لم تكن سحنتى تروق الناظرين
لما كانت فتاتى ظريفة معى هكذا . »

إنى أرتعش يا أولاد . فالجو بارد جداً

مدفديف : هيه ! هل لى أن أسأل من فتاتك هذه ؟

بوبنوف : اتركه وشأنه ، فلم يعد الآن من الشرطة ياصديقى . لقد انتهى كل شىء ، ولم تعد لا شرطيا ولا عما .

أليوشكا : لقد أصبحت زوج الخالة كفاشنيا ليس إلا .

بوبنوف : نعم ، فإحدى بنات أخيك فى السجن والأخرى تموت .

مدفديف (محتدآ) : كذاب ! إنها لا تموت .. إنها مفقودة ! (يضحك ساتن)

بوبنوف : نفس الشىء ياأخ ، فالإنسان لايكون عما دون بنات أخ .

أليوشكا : ياصاحب السعادة (يغنى)

« فتاتى معها نقود وأنا ليس معى مليم
ولكنى فتى مرح ، وهـــذا رأى
الفتيات كذلك ! »

تبا لهذا البرد !!

(يدخل جويتر ، وبين وقت وآخر حتى نهاية الفصل يدخل أشخاص آخرون ، رجال ونساء ، يخلعون ملابسهم استعداداً للنوم ثم يستلقون على فرشهم وهم يتمتمون لأنفسهم .)

جويتر : بوبنوف ! لماذا هربت؟

بوبنوف : تعال هنـــا ! اجلس . والآن فلنغن أغنيتى المفضلة . . أنت تعرفها .. هيه ؟

التترى : لقد جعل الليل للنوم . غنوا بالنهار .

ساتن : لا بأس ياحسن ! تعال هنا !

التترى : لابأس ؟ كيف هذا ؟ . إنكم ستحدثون ضجة حينما تغنون .

بوبنوف (ذاهبا إلى التترى) : كيف حال ذراعك ياحسن؟هل بتروها لك؟

التترى : ولماذا يبترونها ؟ إنى أنتظر فلعلهم لايجدون ضرورة لذلك ، فذراع الإنسان ليست قطعة من الحديد حتى نتسرع فى بترها .

جويتر : إنك فى حالة يرثى لها ياحسن ، فبدون ذراعك لن تصلح لشىء فأمثالنا كل قيمتهم فى أيديهم وظهورهم . وبدون يد لا يكون للرجل وجود . حقا إن حالتك سيئة . تعال اشرب بعض الفودكا ..وإلى الجحيم بكل شىء !

(تدخل كفاشنيا)

كفاشنيا : آه ، أهلا بسكانى الأعزاء ! أليس الجو رديئا فى الخارج ؟ .. برد ورطوبة ! هل شرطي هنا ؟ ياشرطى !

مدفديف : ها انذا .

كفاشنيا : لبست سترتى مرة أخرى ؟ ويبدو من منظرها ... إنك مخمور بعض الشىء ، أليس كذلك ؟ كيف حدث هذا ؟

مدفديف : بمناسبة عيد ميلاده ، عيد ميلاد بوبنوف . . ثم إن الجو بارد ورطب كما ترين .

كفاشنيا : رطب ! اسمع ادعك من هذه الأعذار ! اذهب إلى فراشك .

مدفديف (وهو يذهب إلى المطبخ) :إلى الفراش : هذا فى إمكانى . . .
وأنا أريد ذلك ، فقد حان وقت النوم .

ساتن : إنك صارمة معه . لماذا ؟

كفاشنيا . وهل فى إمكانى غير ذلك ياصديقى ؟ إن رجلا مثله يجب أن يسير على الصراط المستقيم . لقد قبلته شريكا لحياتى معتقدة أنى سأستفيد من ذلك ... وعلى كل حال فهو رجل عسكرى ، أما أنتم فتتوحشون ، وأنا لست إلا امرأة ضعيفة .. ومن اللحظة الأولى يأخذ فى شرب الخمر ! أى فائدة لى فى هذا ؟

ساتن : إنك لم تحسنى اختيار مساعدك .

كفاشنيا . لا إنك مخطىء . أنت مثلا ما كنت لترضى أن تعيش معى .. ما كنت لتقبلنى . وحتى إذا قبلت ، فنى خلال أسبوع واحد تكون قد ضيعتنى فى القمار .. ضيعتنى وضيعت بضاعتى !

ساتن (ضاحكا) : أنت محقة فى هذا ياسيدة الدار .. فلا شك أنى كنت سأفعل ذلك .

كفاشنيا : هأنت ذا قد اعترفت . أليوشكا !

أليوشكا : ها هو ذا .. إنه أنا .

كفاشنيا : ماهذه الأقاصيص التى تذيعها عنى ؟

أليوشكا : أنا ؟ إنى أقص كل شىء ... كما هو ، منتهى الأمانة . أنا أقول هناك امرأة . امرأة بارزة . وهى من حيث اللحم

والشحم والعظم ، وزن ثقيـــل جدا ، ولـكنها لاتملك أوقية واحدة من العقل !

كفاشنيا : هذا كـذب ،فلدى عقل كبير . ولـكن لمـاذا تقول إنى أضرب شرطي ؟

أليوشكا : لقد ظننتكِ تضر بينه حينما كنت تشدين شعره .

كفاشنيا (ضاحـكة) : إنك مغفل ! كأنك لم تر . لمـاذا تنشر الملابس القذرة خارج الدار ؟ ثم إن هـذا يجرح كبرياءه . ولقـد أخذ يشرب الخمر بسبب أقاصيصك .

أليوشكا : إذن فحقا مايقولونه ... من أن الفراخ تسكر كـذلك .

(يضحك ساتن وكلستش)

كفاشنيا : إن لسـانك بذيء ! إنى لا أستطيع أن أفهم أى نوع من الرجال أنت ياأليوشكا .

أليوشكا : أفخر نوع ! فى إمكانى فعـل أى شيء . إذا ما استرعى شيء انتباهى طرت وراءه .

بوبنوف (بالقرب من فراش التترى) : هيـا قم ، فسنحرمك من النوم على أى حال . فسنغنى ... طوال الليل . جويتر !

جويتر : تريد أغنية ؟ حسنا .

أليوشكا : سأعزف معكما .

ساتن : كلى آذان صاغية .

التترى (مبتسما) : حسنا أيها الشيطان بوبنوف والآن أعطنى شيئا من شرابك . فلنشرب ، ولنمرح، فالموت آت ، وسنموت.

بوبنوف : املأ كأسه ياساتن . ! اجلس ياجويتر . آه ، يارفاق ! ما أقل ما يحتاج إليه الإنسان ! انظروا إلىّ ... شربت بعض الخمر — وهأنذا أسعد ما أكون . جويتر . غن أغنيتى المفضلة ... سأغنى وأبكى !

جويتر (يغنى) : الشمس تشرق ثم تغرب —

بوبنوف (مكملا) . وزنزانتى مظلمة لا تعرف الضوء —

(يفتح باب الردهة على مصراعيه .البارون يصيح وهو واقف على العتبة)

البارون : هاى ، أنتم هنا ! تعالوا . تعالوا هنا ! هناك فى الخارج شنق الممثل نفسه !

(صمت شامل .. يحملق الجميع فى البارون مشدوهين تظهر ناستيا خلف البارون وتتقدم نحو المائدة فى بطء شديد وقد اتسعت حدقتا عينيها)

ساتن (فى صوت خفيض) : آه ، لقد أفسد الأغنية .. هذا المغفل !

« ستــــار »

نادي خريجي كليات الآداب
بالإسكندرية

يتخذ النادي هدفا من أهدافه وصل القارىء العربي بنتاج الفكر العالمي ، عن طريق المحاضرة ، وعن طريق النشر تأليفاً وترجمة ، لما كان هذا الاتصال من الدعائم الأصيلة اللازمة في بناء حضارتنا المقبلة . ولن يتم مثل هذا الاتصال بيننا وبين ثمار الفكر الإنساني مالم نتمثل الأصول نفسها في لغاتها ، أو منقولة إلى لغاتنا في أقل تقدير .

وقد رأينا أن نبدأ بجملة من عيون المسرح العالمي الحديث ، فقدمنا هذه المسرحية لمكسيم جوركي ، متبعين إياها قريبا بمسرحية للكاتب النرويجي العظيم هنريك إبسن ، راجين أن تتهيأ السبل لنشر التراث المسرحي الكامل لجوركي ، وإبسن ، وبرنارد شو .

وأملنا أن يكون فيما ننقله من المسرحيات العالمية أثر في نهضة المسرح المصري ، الذي ينتظر جهوداً قوية متشعبة ، منظمة متتابعة حتى يقف على قدميه . ؟

سكرتير النادي

الدكتور محمود السعران

روائع المسرح العالمي

يقدمها

نادي الآداب بالإسكندرية

ظهر منها :

« الحضيض »	لمكسيم جوركي	ترجمة فؤاد دواره

يعد للطبع :

« الأشباح »	لهنريك إبسن	ترجمة حسن السعران
« نورا »	» »	» » »
« الصاغ باربرا »	لبرنارد شو	ترجمة الدكتور محمود السعران
« الهمج »	لمكسيم جوركي	ترجمة فؤاد دواره
« الطابور الخامس »	لإرنست همنجواي	» » »

تصويبـــات

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصواب
٦	٢٣	« مولف	« مولّف »
١٠	٩	الرابع هو	الرابع كما هو
١٤	١١	أيضا أنا ،	ايضا : "أنا ،
١٤	١٢	لرجل ؟	لرجل ؟ "
١٤	٢١	نهذا	بهذا
١٦	٩	سربنى	ضربنى
١٧	٧	للتنظيف أنا	للتنظيف . أنا
١٩	١٠	أخزى	أخرى
١٩	١٩	ليس منه	ليس هذا من
١٩	١٩	«أوفيليا »	«أوفيليا» !
٢٢	١٥	للنزهة	للنزهة ؟
٢٢	١٦	خارجين	خارجين ؟
٢٣	٢	اردت اسألك	أردت أن أسألك
٢٤	٦	هنـا	هنا ؟
٢٤	١٣	عجوز !	عجوز ؟
٢٨	٩	*Sandanpalus*	*Sardanapalus*
٢٩	٨	الضمير !	الضمير؟
٤٣	٦	غريبة	غريبة
٣٥	٣	حالا . .	حالا ؟
٣٥	١٩	من . هذه	من هذه .
٣٧	١٣	ولـكنه	ولـكن
٤٤	١٠	الإسكاف	الإسكاف
٤٥	١٨	أنا . .	أنا ؟
٤٦	٧	— كا ن	.. فقد كان
٤٦	١٥	تسير	تسيرى
٤٧	٣	من بعضهم	بعضهم من بعض
٤٧	١٤	الواجب ؟	الواجب
٤٨	٨	تفعلان	تفعلا
٤٨	١١	والدى	والدى ؟
٤٨	١٣	أيدوا	أيدو
٥٠	١٤	عاداتنا	عادتنا
٥٢	٩	تفهم	تفهم ؟
٦٠	٦	هل . .	. . هل
٦١	١٨	أين	اين ؟
٦١	١٩	سيبريا؟	سيبيريا .
٦٢	١٩	الحاد .	الحادة.
٦٤	٩	الصالة	الردهة
٦٨	٧	سجنت	سجنت
٦٨	٢٠	يقسط	يسقط
٧٧	٢٠	اليوم أموت	اليوم . أموات
٨	١٥	أبد	أبدا
٨٢	٢٠	ليلعنى	ليلعنى
٨٤	٢٠	بالبكا أنت .	بالبكاء . أنت
٩٠	١٣	هل فى	هل تصنع فى
٩١	١٨	شعر	أشعر
٩٤	١٢	قد	وقد
٩٥	١١	تنسى	تنس
٩٦	١٨	تنشرين	تنشرين
١١٦	٢١	للرحيل هناك	للرحيل إلى هناك
١١٧	٧	الترجيديا	التراجيديا
١٢	٣	سألته : مرة	سألته مرة :
١٢٤	٥	ذات ، مرة	ذات مرة ،

